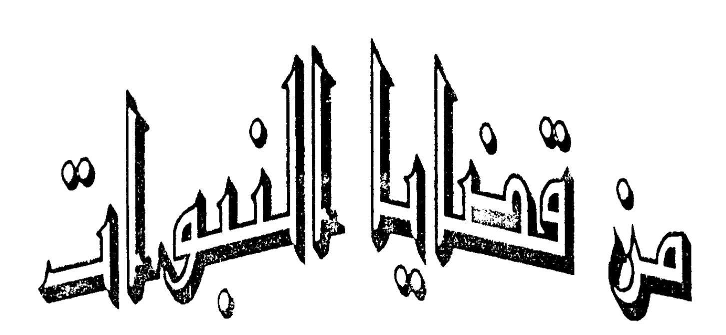
جامعة الأزهر الشريف
كلية أصول الدين و الدعوة الإسلامية
فرع طنطا



تأليف

إبراهيم عبدالله الحصرى
أستاذ العقيدة و الفلسفة المساعد
كلية أصول الدين و الدعوة الإسلامية
جامعة الأزهر - فرع طنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان وأرسل إليه الرسل ليخرجه من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

وبعد،،

إنه لمن العقائد الإيمانية فى الإسلام ، الإيمان بالأنبياء والرسل الذين بعثهم الله إلى الناس يدعونهم إلى الإيمان بالعقائد الحقة والعمل بالشرائع التى فيها صلاح حالهم فى الدنيا والمعاد فى الحياة الآخرة.

فالرسول هو الذى يؤكد للإنسان الأحكام التى لا يستطيع أن يدركها بعقله كالحكم بوجود الله عز وجل ، وكذلك يبين للناس الأحكام التى لا تصل إليها عقولهم بمفردها وذلك كالحكم بأن الله عز وجل قادر ، متكلم ، عالم ، وهكذا .

لذلك بين الله وجوب الإيمان بالرسل وحكم بالضلال على من كفر بهم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) سورة النساء الآية ١٣٦

فالرسل هم الهداة المصلحون وهم أطباء القلوب فبهداهم تتحقق سعادة البشر فى الدنيا والآخرة جعلنا الله مع العاملين بكتابه ومن المتمسكين بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وقد راعيت فى هذا البحث شيئا من التفصيل والتحليل فلم أكتف بالإشارة حيث تمكن العبارة ، راجيا بذلك أن تتفتح لها عيون الغافلين فيجدوا نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، وأن تنشرح بها صدور المؤمنين فيزدادوا إيمانا مع أيمانهم .

وعنوان هذا البحث : من قضايا النبوات ، وقد اشتمل هذا البحث على خمسة فصول :

الفصل الأول : مفهوم النبى والرسول وحكم إرسال الرسل.

الفصل الثانى : أهم مزايا دعوة النبوة .

الفصل الثالث : طرق الاستدلال على النبوة .

الفصل الرابع : إثبات نبوة سيدنا محمد وعموم رسالته .

الفصل الخامس : تفنيد شبهات حول النبوة والرد عليها .

هذا وبالله التوفيق

أ / د. / إبراهيم عبد الله الحصرى

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية

جامعة الأزهر – فرع طنطا

حقيقة النبوة والرسالة

النبى فى اللغة :

النبى على زنة فعيل و فعيل يصح أن تكون بمعنى فاعل أو مفعول فبمعنى فاعل يعنى منبئ أى مخبز العباد عن الله عز وجل وبمعنى مفعول أى منبئ نبأه الله تعالى ، جعله نبيا ورسولا ، وجمع النبى أنبياء و أنبئاء .

و النبى إما مأخوذ من النبأ أو النبؤة بالهمزة بمعنى المخبر لأن النبأ هو الإنباء بمعنى الإخبار أو الإعلان ، وهذا المعنى جاء تحت قوله تعالى (عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون) (١) وتحت قوله تعالى (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير) (٢)

وأصل النبى النبئ بالهمزة فقلبت الهمزة ياء و أدغمت الياء فى الياء فصارت نبيا ، وأصل معنى النبأ الانتقال من مكان إلى مكان يقال نبأ وطرأ ونشط إذ خرج من بلد ونبأت من أرض إلى أرض إذا أخرجت منها إلى أخرى ، وسيل نابئ جاء من بلد آخر ورجل كذلك قال الأخطل :

ألا فاسقيانى وانفيا عنى القذى ... فليس القذى بالعود يسقط فى الخمر

وليس قذاها بالذى قد يريبها ... ولا بذباب نزعه أيسر الأمر

ولكن قذاها كل أشعث نانبئ ... أتتنا به الأقذار من حيث لا ندرى (٣)

١- سورة النبأ الأية ١ - ٣ .

٢ - سورة التحريم الأية (٣) .

٣- راجع فى لسان العرب لابن منظور جـ٦ صـ٤٣١٥ - ٤٣١٦ .

ومن هنا نعلم أن النبأ بمعنى الخبر لأنه يأتى من شخص إلى أخر ويستعمل النبأ أو الأنباء فى اللغة ، الإخبار مطلقا ، أما بالنسبة للأنبياء فهو إخبار خاص بالإخبار عن الله عز وجل فيكون قد انتقل من معنى عام إلى معنى خاص .

و النبى من النبوة والنبوة بمعنى الارتفاع والعلو وهذا الارتفاع يستعمل بالمعنى الخاص والعام أما المعنى الخاص فلا يستحقها إلا من سمت نفسه وصفت وارتفعت إلى أعلى مكانه ، ولا يستحق هذه الدرجة إلا من اصطفاه الله وشرفه برسالته .

هذا هو التحديد اللغوى لمعنى النبوة ، والظاهر أن هذه المعانى صالحة للنبوة إلا أن أقرب المعانى إلى الصواب هو المعنى القائل أن النبى مأخوذ من النبأ أو الإنباء بمعنى الإخبار و النبئ و النبى بالياء المشددة معنيان متلازمان لأن من أنباه الله وأرسله إلى عباده فهو مخبر عن الله وكل مخبر عن الله فهو جدير بأن يكون فى أعلى الدرجات فيستحق الرفعة ([1]) .

حقيقة الرسول :

الرسول هو الذى يتابع أخبار الذى بعثه أخذا من قولهم جاءت الإبل رسلا أى متتابعة . والرسول يأتى بمعنى الرسالة كما فى قول الشاعر :

ألا أبلغ أبا عمر رسولا   يأتى عن فتاحتكم غنى ([2])

ومنه قوله تعالى (إنا رسول رب العالمين) ([3]) .

---

[1]- شرح المواقف٨ صـ١٣٤٠ والنبوات والسمعيات د/محى الدين الصافى صـ٥،٦

[2]- لسان العرب جـ ٣ صـ ١٦٤٤ ، ١٦٤٥ .

[3]- سورة الشعراء الاية ١٦ .

فلقد قال الزمخشرى : إن الرسول فى الآية بمعنى الرسالة أى أنه ذو رسالة رب العالمين ([1])

ويستدل الإمام الرازى على أن لفظ الرسول قد يستعمل بمعنى الرسالة :

يقول الشاعر :

لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم   بسر ولا أرسلتهم برسول

فيكون معنى الآية السابقة إنا ذو رسالة رب العالمين ([2])

ورسول على زنة فعول يستوى فيه المذكر والمؤنث إذا كان بمعنى فاعل ، يقال رجل صبور وامرأة صبور كما أن فعيلا يستوى فيه المذكر والمؤنث إذا كان اسم مفعول تقول : رجل جريح وامرأة جريح بمعنى مجروح ومجروحة . وكلا منهما يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع كقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) ([3]) أى أعدائي وأعدائكم .

وجمع الرسول رسل وقيل جمع الرسول رسلاء ([4]) ، ويسمى الرسول رسولا لأنه ذو رسالة والرسول اسم من أرسلت وكذا الرسالة والإرسال التوجيه ([5]) ومن معانى الإرسال التسليط وذلك كما فى قولة تعالى (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم إذا) ([6]) ولكن لا يخفى علينا أن الفرق واضح بين إرسال الله رسله وبين إرسال الشياطين على الكافرين فإرسال الرسل وصية إليهم أن يبلغوا لعباده كذا

---

[1] - الكشاف للزمخشرى ج ٣ صـ ١٠٧ مصطفى الحلبى سنه ١٣٩٢ هـ .
[2] - مفاتيح الغب م ١٢ ج ٢٤ صـ ١٢٣ .
[3] - سورة الممتحنة الاية (١) .
[4] - لسان العرب لابن منظور ج ٣ صـ ١٦٤٥ .
[5] - نفس المرجع صـ ١٦٤٤ .
[6] - سورة مريم الآية ٨٣ .

وكذا أما إرسال الشياطين فهو إطلاقهم وتسليطهم على الكافرين ، فالتوصية والتسليط مختلفان لفظا ومعنى .

مفهوم النبى والرسول فى الاصطلاح

هنا اتجاهان مختلفان فى تعريف النبى والرسول :

الأول : يرى أن النبى مرادف للرسول ولا خلاف بينهما فحقيقة النبى هى حقيقة الرسول .

الثانى : يرى أن النبى مغاير للرسول فلكل منهما معنى مغاير للأخر . وحول هذين الاتجاهين نقول :

الاتجاه الأول : للمعتزلة : لقد ذهب جمهور المعتزلة إلى أنه لا فرق بين النبى والرسول فى الاصطلاح فالمراد بكل منهما واحد .

يقول القاضى عبد الجبار : إن الرسول من الألفاظ المتعدية أى لابد أن يكون هناك مرسل ومرسل إليه وإذا أطلق فلا ينصرف إلا إلى المبعوث من جهة الله تعالى دون غيره حتى إذا أردت غير ذلك فلابد أن تقيد . وأما النبى فقد يكون مهموزا أو مشدودا وإن كان مهموزا فهو من الإنباء أو الإخبار وإذا وصف به الرسول فالمراد به أنه المبعوث من جهة الله تعالى وإذا وصف به المبعوث فالمراد به أنه المعظم الذى رفعه الله تعالى وعظمه ، وإذا ثبت ذلك فاعلم أنه لا فرق فى الاصطلاح بين الرسول و النبى ، وعلى هذا كل نبى رسول وكل رسول نبى فكل منهما مرادف للأخر (١)

١- شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار صـ ٥٦٧ ، وما بعدها ط مكتبه وهبه ط ١ ـ ١٩٦٥ م ، ١٣٨٤ هـ .

ولقد استدلوا بأدلة ذكرها عنهم الإمام الرازى فى تفسيره قال ، وقالت المعتزلة كل رسول نبى وكل نبى رسول ولا فرق بينهما وذلك لما يأتى من أدلة .

الأول : أن القرآن الكريم فيه ما يدل على ما ذهبنا عليه وذلك نحو قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته) ([1]) . حيث قالوا : إن الآية تدل على أن الإرسال متعلق بكل منهما لذلك فلا فرق بينهما ([2]) ومن هنا رد القاضى عبد الجبار على من قال إن العطف يقتضى المغايرة وعلى ذلك فالآية تدل على وجود الفرق بين النبى والرسول .

يقول القاضى عبد الجبار : ألا ترى أنه تعالى فصل بين نبينا وغيره من الأنبياء ثم لا يدل على أن نبينا ليس من الأنبياء وكذلك فإنه فصل بين الفاكهة وبين النخل والرمان كما فى قوله (فيها فاكهة ونخل ورمان) ([3]) ولم يدل ذلك أن النخل والرمان ليسا من الفاكهة كذلك هاهنا ([4]) فنفى القاضى مبنى على أن مجرد الفصل لا يدل على اختلاف الجنسية .

الثانى : أن الله تعالى خاطب رسوله محمدا مرة بالنبى ومرة بالرسول وذلك كما فى قوله تعالى(يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)([5]) وقوله(يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين)([6]) فدل ذلك على أنه لا منافاة بين الأمرين.أما القول الثانى فإنه يثبت المنافة .

[1] - سورة الحج الاية ٥٢ .
[2] - مفاتيح الغيب م ١٢ ج ٢٣ صـــــ٥٠ .
[3] - سورة الرحمن ألآية ٦٨ .
[4] - شرح الأصول الخمسة للقاضى صـــــ٥٦٨ .
[5] - سورة المائدة الاية ٦٧ .
[6] - سورة الأحزاب الاية (١)

الثالث : أن الله تعالى نص على أنه صلى عليه وسلم خاتم النبيين حيث قال فى قرأنه (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (١)

الرابع : أن اشتقاق لفظ النبى إما من النبأ وهو الخبر أو من قولهم نبأ إذا ارتفع ، والمعنيان لا يحصلان إلا بقبول الرسالة (٢)

مناقشة هذا الرآى : لقد ناقش العلماء موقف المعتزلة فقالوا : إن القول بالاتحاد وعدم الفرق بين النبى والرسول ولو من جهة يخالف رأى أكثر العلماء ، فقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى) (٣) يدل على أنه بين النبى والرسول تغاير وإلا لما وجد العطف وهذا هو ما وضحه صاحب الكشاف حيث قال عند تفسيره لهذه الآية : وهذا دليل بين على التغاير بين الرسول والنبى (٤) كذلك الألوسى قال عند تفسيره لهذه الآية إن عطف نبى على رسول يدل على المغايرة بينهما وهو الشائع(٥) ومن هنا يتضح لنا أن المفسرين يرون أن العطف فى الآية يقتضى المغايرة وفى قولهم هذا رد على القاضى عبد الجبار، فالنبى والرسول وإن اتفقا فى ان كلا منهما منبأ من الله وموحى إليه فهذا لا ينافى التغاير فى حقيقة كل منهما على حده ، أما خطاب الله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ظاهر لأن النبى محمد تجتمع فيه الرسالة والنبوة .

أما عن قول المعتزلة بالتلازم بين النبى والرسول لأن التلازم بين الشيئين يفيد التلازم فى الحقيقة ، فهذا غير مسلم لأنه قد يوجد

---

١ - سورة الأحزاب الاية ٤٠ .
٢- مفاتيح الغيب م ١٢ ح ٣٢ صـــ ٥٠ .
٣ - سورة الحج الاية ٥٢ .
٤ - الكشاف - الزمخشرى ج ٣ صــــ١٨ .
٥- روح المعانى - للالوسى .

التلازم ولا يوجد الاتحاد فى الحقيقة كالإنسان والضاحك ، وليس حقيقة الإنسان هى حقيقة الضاحك .

ولا يخفى علينا أن الله تعالى قد وصف بعض أنبيائه بالرسول والنبى كما فى قوله (واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا) (١) وقوله (واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) (٢)

وغير ذلك من الآيات التى ذكر الله تعالى فيها الصفتين الرسول والنبى على موصوف واحد فهذا يقتضى تباينا ولو من جهة واحدة وإن لم يكن كذلك فالتكرار الذى لم يدل على شئ يكون عبثا ولا يليق بالقرآن الكريم ذلك العبث .

الاتجاه الثانى حول مفهوم النبى والرسول اصطلاحا

يذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن هناك فرقا بين النبى والرسول وأن العلاقة بينهما ، إما عموم وخصوص مطلق ، أى يجتمعان فى شئ واحد وينفرد الأعم فى شئ أخر ، وهذا رأى الأكثرين من الأشاعرة بل ومن المتكلمين عامة .

وإما عموم وخصوص وجهى أى يجتمعان فى شئ وينفرد كل منهما فى شئ آخر وهذا هو رأى القليل منهم (٣) .

١- سورة مريم الآية (٥١) .
٢- سورة مريم الآية (٥٤)
٣ - تيسير القواعد المنطقية د/ محمد شمس الدين صـــ٨٥ وما بعدها الطبعة الرابعة بدون ذكر مطبعة وراجع توضيح القواعد المنطقية ج ١ د / محمد شحاته ابراهيم صـــ٩٨ ، ٩٩ ط المكتب العلمى الحديث للطباعة بالزقازيق ط ١٤١٧ هـــ ١٩٩٦م .

واستدل أصحاب هذا الاتجاه بأدلة من القرآن والسنه فمن القرآن قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من روسل ولا نبى) ([1]) ووجه الاستدلال عندهم أن وجود العطف يقتضى المغايرة كما قال الزمخشرى والألوسى وغيرهما من المفسرين .

وأما من السنة : فما رواه الإمام أحمد عن أبى أمامه عن أبى زر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله كم وفى عدة الأنبياء قال : (مائة ألف وأربعة وعشرون ألف ، الراسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا) ([2])

فثبت من هذا الحديث أن عدد الرسل يقل عن عدد الأنبياء وعلى هذا فلابد من وجود فرق بينهما ولو من وجه لأن الحديث يفيد أنه ليس كل نبى رسولا ولكن كل رسول نبى .

وبناء على ما ذكره المفسرون وما ذكره الحديث الشريف ذهب أكثر المتكلمين إلى القول بالفرق بين النبى والرسول .

تحديد الفرق بين النبى والرسول عند أصحاب هذا الاتجاه

لقد ذكر أصحاب هذا الاتجاه فروق كثيرة يوضحون من خلالها أن هناك فرقا بين الرسول والنبى نذكر بعض ما ذكروه ثم نعقب بما نراه.

الفرق الأول :

قالوا إن من جاءه الملك ظاهرا وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول ومن لم يكن كذلك بل رأى فى النوم كونه رسولا أو أخبره أحد من الرسل بأنه رسولا الله فهو النبى الذى لا يكون رسولا ([3])

١- سورة الحج الآية ٥٢ .
٢- ند الإمام أحمد بن حنبل ج ٦ صـــ٣٥٦ ط دار إحياء التراث العربى-بيروت .
٣- فى نور العقيدة الإسلامية ح ٢ د / محمد سيد أحمد المسير صـــ٤٦ .

فالنبى هو الذى يرى فى منامه ، وربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحد وعلى هذا تكون النسبة بينهما العموم والخصوص المطلق يجتمعان فى الرسول فإنه يرى الملك فى النوم واليقظة فباعتبار رؤيته فى النوم فهو نبى وباعتبار رؤيته فى اليقظة فهو رسول . فقد اجتمعت فيه الرسالة والنبوة ، أما النبى فينفرد فيمن أوحى إليه من الأنبياء فى النوم دون أن يأتيه الملك أو يسمعه صوته فى اليقظة .

الفرق الثانى :

قالوا الفرق بينهما بنزول الكتاب ، فالرسول من بعثه الله إلى الخلق وأنزل عليه كتابا كإبراهيم وداود وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم . أما النبى من لا كتاب له وإنما أمر أن يدعو إلى كتاب من قبله فإلى هذا ذهب التفتازانى والداونى وغيرهما ([1]) .

وعلى هذا فتكون النسبة بينهما التباين لأن كلا منهما مقيد بقيد ليس فى الآخر فالرسول مقيد بكتاب والنبى مأمور بكتاب من سبقه .

الفرق الثالث :

قالوا الفرق بينهما بالشريعة المجددة أو نسخ بعض أحكام شرعية قبله وهذا هو ما ذهب إليه البغدادى فى أصوله حيث قال والرسول من يأتى بشرع على الابتداء أو بنسخ بعض أحكام شريعة قبله ([2])

وعلى ذلك تكون النسبة بينهما التباين وأيضا فكل منهما مقيد بقيد ليس فى الآخر .

١- راجع شرح المقاصد ج ٢ صـــ١٢٨ التفتازانى .
٢-أصول الدين للبغدادى صـــ١٥٤ ط دار الكتب العلمية- بيروت ط سنه١٤٠١ هـــ.

الفرق الرابع :

قالوا الفرق بينهما بالتبليغ وهذا كما نعرف هو المشهور عدد أكثر أهل الكلام فالرسول من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه أما النبى من أوحى إليه بشرع سواء أمر بالتبليغ أم لم يؤمر ([1]) وعلى ذلك تكون النسبة بينهما العموم والخصوص المطلق فيجتمع فى الرسول الوحى والتبليغ وينفرد النبى فى من سمع الوحى فقط سواء أمر بالتبليغ أو لم يؤمر .

وأما بالنسبة للفرق الرابع : فيقول الإمام الألوسى معلقا عليه : وأنت تعلم أن المشهور أن النبى فى عرف الشرع أعم من الرسول فإنه من أوحى إليه سواء أمر بالتبليغ أم لم يؤمر والرسول من أوحى إليه وأمر بالتبليغ ولا يصح إرادة ذلك لأنه إذا قوبل العام بالخاص يراد بالعام ما عدا الخاص فمتى أريد بالنبى ما عدا الرسول كان المراد به من لم يؤمر بالتبليغ وحيث تعلق به الإرسال صار مأمورا بالتبليغ فيكون رسولا فلم يبق فى الآية بعد تعلق الإرسال رسول ونبى مقابل له فلابد لتحقيق المقابلة أن يراد بالرسول من بعث بشرع جديد وبالنبى من بعث لتقرير شرع من قبله ([2]) وهكذا نجد أن الإمام الالوسى يرفض الفرق الرابع وإن كان يقرر الفرق الثانى .

ولقد رد الأستاذ الدكتور / محمد سيد أحمد المسير على هذه الفروق جملة فقال : ونحن نرى أن : هذه الأقوال لا يساندها نص ولا يساعدها دليل وهى افتراضات لم تتلمس الواقع ، فدعوى أن الرسول

١- راجع هذا القول فى مفاتيح الغيب للإمام الرازى م ١٢ ج ٢٣ صـــ ٥٠ وفى نور العقيدة الإسلامية ج ٢ صـــ٤٥ د / محمد سيد أحمد المسير وراجع النبوة والأنبياء للصابونى صـــ١٣ دار الفكر للطباعه ط ٢ سنه ١٣٩٥ هـــ .

٢ - روح المعانى للإمام الالوسى جـــ١٧ صـــ١٧٣ .

من له كتاب ينفيها قول الله تعالى (واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) ([1])

وقوله تعالى(وإن إلياس لمن المرسلين)([2])وقوله (إن لوطا المرسلين)([3]) وقوله (وإن يونس لمن المرسلين) ([4]) فإسماعيل وإلياس ولوط ويونس بنص القرآن مرسلون وليس لهم كتاب ([5]) .

ثم قال ومن الناس من يفرق الرسول والنبى بمسألة التبليغ فالرسول أمر بتبليغ ما أوحى إليه والنبى سواء أمر بالتبليغ أم لم يؤمر فرد على هذا القول بما يلى :

١- إن مسألة الشرع الخاص الذى لا يؤمر النبى بتبليغه يتنافى مع الحكمة من النبوة ، فالوحى يتنزل على الأنبياء بشرائع تنفعهم وتنفع أقوامهم .

٢- لا نعرف شخصا واحدا ذكره القرآن الكريم يسمى نبيا فقط ولا يسمى رسولا فكل من ورد ذكرهم فى القرآن من الأنبياء بلغوا الرسالة ونصحوا أقوامهم ولا يصح أن نخترع اصطلاحات فى العقيدة لا تمثل الواقع الصحيح .

٣- ثم إن التفريق بين النبى والرسول بمسألة التبليغ وعدمه لا يعرف كاصطلاح شرعى ولا يعرف كمعنى لغوى فإن اشتقاق لفظ النبى كما نعلم من النبأ يقال نبأ ونبأ أى أخبر ، فالنبى فعيل بمعنى فاعل

١- سورة مريم الاية ٥٤ .
٢- سورة الصافات الاية ١٢٣ .
٣- نفس السورة الاية (١٣٣) .
٤- نفس السورة الأية (١٣٩) .
٥- راجع كتاب فى نور العقيدة الإسلامية د/محمد سيد أحمد المسير ح ٢ ص٤٦ .

أى منبئ بما أنزله الله تعالى عليه ولو قلنا إنه فعيل بمعنى مفعول أى منبأ بالغيب أى أنبأه الله ، فهذا لا ينافى التبليغ والإرسال .

ولو كان لفظ النبى مأخوذا من النبوة (بفتح وسكون) وهو ما ارتفع من الأرض فالمعنى أن النبى مرتفع عن سائر الخلق بما اصطفاه الله به من الوحى والشرع فهو يؤكد الرسالة والتبليغ (١)

فمن الملاحظ أن : هذه الآراء جميعها لم تخل من النقد فالمعتزلة و الأشاعرة وغيرهم من المتكلمين كل رأى من آرائهم قد تعرض للنقد لذلك نقول : إن الأنبياء والرسل اصطفاهم الله تعالى وأوحى إليهم بالشرائع والأحكام وأرسلهم إلى الخلق لهدايتهم إلى ما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، ويدعون إلى دين واحد وعقيدة واحدة هذا هو ما ينبغى أن نركن إليه .

وإلى هذا ذهب الدكتور / محمد سيد أحمد المسير قائلا :

" الذى نراه أقرب إلى التصور أن الرسول و النبى كليهما يطلق على شخص واحد ، وكل رسول نبى وكل نبى رسول ، وعطف أحدهما على الآخر لا يدل على التغاير فى الماصدق وإنما يدل على اختلافهما فى المفهوم (٢) كاللفظين المترادفين - إنسان وبشر - يطلقان على شخص واحد كمحمد وأحمد وإبراهيم .

ومن هنا : فالنبى من الإنباء وهو من أنبأه الله أو أنبأ عن الله والرسول من الإرسال وهو المبعوث من الخالق إلى الخلق فالنبوة تمثل

١- المرجع السابق صـ٤٢ - ٥٠ .

٢ - دلالة المفهوم هى دلالة اللفظ على المعنى المقصود الذى وضع له اللفظ ، ودلالة اللفظ على الأفراد الذين يطلق عليهم هذا اللفظ فلفظ إنسان مفهومه أنه حيوان ناطق ويصدق هذا اللفظ على أفراده مثل محمد وأحمد ورشاد وسعيد وغير ذلك .

علاقة بين الإنسان المصطفى والخلق ، وكذا الرسالة تمثل علاقة بين الإنسان المصطفى والخلق (١)

حكم إرسال الرسل

ذهب المعتزلة والفلاسفة وبعض علماء ما وراء النهر (٢) إلى القول بوجوب إرسال الرسل ولكنهم اختلفوا فى علة الوجوب .

فقال المعتزلة إن إرسال الرسل واجب لأن فيه صلاحا للعباد كما أن فيه لطفا بهم إذ يقربهم إلى الطاعة ويبعدهم عن المعصية وذلك كله واجب على الله تعالى ويعبر عن رأى المعتزلة أحد رجالهم وهو القاضى عبد الجبار فيقول : إنه قد تقرر فى عقل كل عاقل وجوب رفع الضرر عن النفس وثبت أيضا أن ما يدعو إلى الواجب ويصرف عن القبيح فإنه واجب لا محالة وما يصرف عن الواجب ويدعو إلى القبيح فهو قبيح لا محالة إذا صح هذا وكنا نجوز اجتناب المقبحات وفيها ما إذا فعلناه كنا بالعكس من ذلك ولم يكن فى قوة العقل ما يعرف به ذلك ويفصل بين ما هو مصلحة ولطف وبين ما لا يكون كذلك فلابد من أن يعرفنا الله تعالى حال هذه الأفعال حتى لا يكون عائدا بالنقص على غرضه بالتكليف . وإذا كنا لا يمكن تعريفنا ذلك إلا بأن يبعث إلينا رسولا مؤيدا بعلم معجز دال على صدقه فلابد من أن يعقل ذلك ولا يجوز له الإخلال به ولهذه الجملة قال مشايخنا : إن البعثة متى حسنت وجبت على معنى أنها ما لم تحسن قبحت لا محالة (٣)

١- فى نور العقيدة الإسلامية أ.د/محمد سيد احمد المسير ح ٢ صـ ٤٧ ، ٤٨ .
٢- بلاد ما وراء النهر يقصد بها العراق وفارس وخرسان راجع معجم البلدان- ياقوت الحموى تحقيق فريد الجندى ط دار الكتب العلمية بيروت ط سنه ١٤١٠هـ
٣ - شرح الأصول الخمسة صـ٥٦٤ .

ومن ثم فقد اعتصموا فى باب النبوة بما ذهبوا إليه من القول بالحسن والقبح فكل فعل قرر العقل أنه حسن فهو واجب وكل فعل تقرر فى العقل أنه قبيح كان ممتنعا وحيث حسنت النبوة فهى واجبة على الله تعالى واعتصموا كذلك بما ذهبوا إليه من القول بالصلاح والأصلح فكل فعل فيه فساد وصلاح أو فيه صلاح وأصلح وجب فعل الصلاح والأصلح وأمتنع فعل الفساد والصلاح .

ومن حيث إن النبوة مما فيه صلاح العباد ، وجبت على الله تعالى ويرى علماء ما وراء النهر أن الحكمة تقتضى إرسال الرسل وذلك لما يأتى :

أ- خلق الله الأغذية والأدوية ولا يستطيع الإنسان أن يصل إلى تمييز هذه من السموم المهلكة إلا بتجارب قد تستنفذ عمر الدنيا - فلو لم يرسل الله رسول يبين ذلك لكان منها .

ب- خلق الله الإنسان الذى لا يستطيع العيش إلا فى جماعة فمن الحكمة إرسال الرسل الذين يرسمون للجماعة ما فيه صلاحها .

ج - خلق الله العقل الإنساني يميل إلى الخير وينفر من الشر كما أن كمال هذا العقل فى الوصول إلى الحقائق وإدراكها ولا يستطيع إدراك ذلك كله تفصيلا من غير نبى فلو لم يرسل الله رسولا بين ذلك لكان خلقه لهذا العقل سفها .

د- هناك بعض الأفعال تحمد عاقبتها فيجب فعلها فلو لم يبين الرسول هذه الأفعال لكان فى ذلك إباحة فى ذلك إباحة لترك الواجب وذلك ليس من الحكمة (١) وأنت ترى أن هذا كله قريب مما قررة المعتزلة .

١- راجع المقاصد لسفد الدين التفتازانى .

ومذهب أهل السنة أن إرسال الرسل جائز عقلا فى حقه تعالى وواقع فعلا أما كونه جائز عقلا فى حقه تعالى فلأنه من الأمور الممكنة وكل ممكن يجوز فى حقه تعالى فعله وتركه لما ثبت من كونه سبحانه فاعلا مختارا والفاعل المختار لذاته لا يجب ولا يستحيل عليه شئ من أفعاله .

وأما كونه واقع فعلا فلما نقل إلينا بطريق التواتر المفيد لليقين من دعوى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للرسالة وإظهاره البراهين القاطعة الدالة على إرسال الله تعالى إياه وصدقه التالى فيما أخبر به من أن لله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون على الله حجة بعد الرسل .

والحق أن النبوة أمر جائز عقلاً فى حقه تعالى وفقا لمذهب أهل السنة لضرورة أنه سبحانه هو الفاعل المريد الذى لا يسأل عما يفعل والوجوب ينافي ذلك لأنه لو وجب عليه فعل ممكن (١) أو استحال عليه لما كان قادرا مختارا مريدا . لكن قد ثبت له القدرة والإرادة .. فانتفى وجوب ممكن أو استحالته عليه وثبت له جواز الفعل والترك قال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن التحسين والتقبيح العقليين والصلاح الأصلح من الدعاوى التى لم يسعفها الدليل ولم تسلم من الاعتراضات و الالزامات التى لم يستطع المعتزلة ردها .

فعلى قولهم بوجوب رعاية الصلاح الأصلح فى أفعاله تعالى رتب أهل السنة إلزاما قويا مؤداه : أنا نفترض ثلاثة أطفال ، مات أحدهم وهو مسلم فى الصبا وبلغ الآخر وأسلم ومات مسلما بالغا وبلغ

١- فى علم العقيدة د . محمد نعيم صـــ٥٠ .

الثالث كافرا ومات على الكفر فإن العدل أن يخلد الكافر البالغ فى النار وأن يكون البالغ المسلم فى الجنة رتبة فوق رتبة الصبى المسلم .

فإذا قال الصبى المسلم : يارب لم حططت رتبتى عن رتبته ؟ فيقول :

لأنه بلغ فأطاعني وأنت لم تطعنى بالعبادات بعد البلوغ فيقول : يارب لأنك أمتنى قبل البلوغ فكان صلاحى فى أن تمدنى بالحياة حتى أبلغ فأطيع فأنال رتبته فلم حرمتنى هذه الرتبة أبد الآبدين وكنت قادرا على أن توصلنى لها ؟

فلا يكون له جواب إلا أن يقول : علم أنك لو بلغت لعصيت وما أطعت وتعرضت لعقابى وسخطى فرأيت هذه الرتبة النازلة أولى بك وأصلح لك من العقوبة فينادى الكافر البالغ من الهاوية ويقول : يارب أو ما علمت أنى إذا بلغت كفرت فلو أمتنى فى الصبا وأنزلتنى فى تلك المنزلة النازلة لكان أحب إلى من تخليد النار وأصلح لى فلم أحييتنى وكان الموت خيرا لى ؟ فلا يبقى له جواب البتة .

ومعلوم أن هذه الأقسام الثلاثة موجودة وبه يظهر على القطع أن الأصلح للعباد كلهم ليس بواجب ولا هو موجود (١) فبطل الاستمساك به فى عموم العقائد ويبطل تبعا القول به فى باب النبوة .

وأما استناد المعتزلة إلى الحسن والقبح العقليين فى وجوب النبوة فلا يسلم إلا إذا ثبت أنهما ذاتيان فى الأشياء لكن قد ثبت على وجه القطع أنهما أمران إضافيان يختلفان اختلاف الأشخاص والأحوال والأزمنة الأمكنة بل كل منهما يختلف فى حق شخص واحد بالأحوال

---

١ - الاقتصاد فى الاعتقاد للغزالى صـــ٩٥ .

ويختلف فى حال واحد بالأعراض فرب فعل يوافق الشخص من وجه ويخالفه من وجه فيكون محسنا من وجه قبيحا من وجه .

فمن لا ديانة له يستحسن الزنا بزوجة الغير ويعد الظفر بها نعمة ويستقبح فعل الذى يكشف عورته .. والمتدين لا يسميه محسنا حسن الفعل وكل بحسب غرضه يطلق اسم الحسن والقبيح بل يقتل ملك من الملوك فيستحسن فعل القاتل جميع أعدائه ويستقبحه جميع أوليائه .

فبهذا يتبين على القطع أن الحسن والقبح عبارتان – عن الخلق كلهم – عن أمرين إضافيين ، يختلفان بالإضافات لا عن صفات الذوات التى لا تختلف بالإضافة فلا جرم أن يكون الشيء حسنا فى حق زيد قبيحا فى حق عمرو ولا يجوز أن يكون الشيء أسود فى حق زيد أبيض فى حق عمرو لما لم تكن الألوان من الأوصاف الإضافية (١) .

وإذا انتفى كون الحسن والقبح ذاتيين وصح أنهما إضافيان لم يبق إلا أنهما شرعيان على ما ذهب إليه أهل السنة وكونهما شرعيين يلزم منه منع جواز إطلاق القبح على أفعال لعدم وروده على لسان الشرع المنقول (٢) .

ولأن النبوة من أفعاله تعالى فلا تقبح فى حقه ولا تحسن بل هى منه تعالى محض لطف ورحمة وليس شئ من اللطف والرحمة بواجب عليه تعالى :

أما الفلاسفة : فقد ذهبوا كالمعتزلة إلى وجوب النبوة والرسالة لأن النظام الأمثل الذى تقتضيه العناية الإلهية الأزلية لا يتم إلا بوجود النبى فالنبوة عندهم ضرورية بضرورة وجود النظام الأمثل فى العالم

١– الاقتصاد فى الاعتقاد لأبى حامد الغزالى ٨٥ – ٨٦ .
٢ – غاية المرام فى علم الكلام للأمدى تحقيق د / حسن الشافعى صـــ٣٣٩ .

الذى لا يليق بالعناية الإلهية أن تقبل بأقل منه فهى حاجة اجتماعية لا مندوحة للاجتماع البشرى عنها .

ذلك : أن نوع الإنسان محتاج إلى اجتماع ومشاركة فى ضروريات حاجاته مكتفيًا بآخر من نوعه يكون ذلك الآخر أيضا مكتفيا به ولا تتم تلك الشركة إلا بمعاملة ومعارضة يجريان بينهما يفرغ كل واحد منهما عن مهم لو تولاه بنفسه لازدحم على الواحد الكثير .

ولابد فى المعاملة من سنة وعدل لابد من سان ومعدل ولابد من أن يكون بحيث يخاطب الناس ويلزمهم السنة فلابد من أن يكون إنسانا ولا يجوز أن يترك الناس وآراءهم فى ذلك فيختلفون ويرى كل واحد منهم ماله عدلا وما عليه ظلما فالحاجة إلى هذا الإنسان فى أن يبقى نوع الإنسان أشد من الحاجة إلى إنبات الشعر على الأشفار والحاجبين فلا يجوز أن تكون العناية الإلهية تقتضى أمثال المنافع ولا تقتضى هذه التى هى أسبابها .

فلابد إذن من نبى وإنسان متميز من بين سائر الناس بآيات تدل على أنها من عند ربه تعالى ويدعوهم إلى التوحيد ويمنعهم من الشرك ويبين لهم الشرائع والأحكام ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن التباغض والتحاسد ويرغبهم فى الآخرة وثوابها ويضرب لهم أمثالا للسعادة والشقاوة تطمئن إليها نفوسهم .

واجب فى الحكمة الإلهية إرساله وأن جميع ما سنه فإنما هو ما وجب من عند الله أن يسنه وأنه متميز عن سائر الناس بخصائص بالغة (١)

١- الملل والنحل ج ٢ صـ ٢١٠ - ٢١١ الشهرستانى .

فالنبوة عند الفلاسفة الإسلاميين من الواجب العقلى على معنى أنه لم يكن فى العقل يد من حصول لطف المبدأ الأول وإفاضة الجود منه ([١]) والناظر فى قول الفلاسفة يجد عدة أمور منها .

١- أنهم يقولون كالمعتزلة بوجوب لكن هناك فرقا فى معنى الوجوب عند كل منهما . فالمعتزلة يفسرون الوجوب بمعنى استحقاق ترك الذم والعقاب. والفلاسفة يفسرونه بمعنى لزوم الصدور وعدم التخلف .

٢- أن الوجوب بهذا المعنى عند الفلاسفة يؤول إلى الإيجاب بل هو الإيجاب حقيقة وهو أشد من الوجوب لأن فيه سلب الاختيار تماما وعلى ذلك فالنبوة يلزم صدورها عن الله تعالى دون تخلف وكيفية

هذا الصدور تتأتى من وجهين :

الأول : أن النبوة جود من المبدأ الأول والجود من أخص صفات ذاته عندهم وما بالذات لا يتخلف فالنبوة لازمة عن ذاته لا تتخلف عنها بحال .

الثانى : أن المبدأ الأول علة تامة والعلة التامة لا ينفك عنها معلولها أبدا وحيث كان العالم هو معلوم تلك العلة التامة فقد لزم صدوره عنها صدور المعلول عن علته ويلزم صدور العالم وجود من يحفظ عليه نظامه الأمثل والأكمل فكانت النبوة والأنبياء .

هذا هو جماع مذهب الفلاسفة فى حكم النبوة .

ولسنا نجد فى الواقع ما يبرر قبول مثل هذا المذهب من الفلاسفة لمساسه الواضح بالكمال الإلهي المتمثل فى القدرة والإرادة

١- غاية المرام فى علم الكلام للآمدى تحقيق د / حسن الشافعى صـ٣١٩ .

والاختيار ويقيناً فإنه إذا تقرر بطلان الوجوب الذى قالت به المعتزلة فبطلان الإيجاب الذى قالت به الفلاسفة أولى .

فالحق تبارك وتعالى لا يجب عليه شئ لخلقه على أى معنى من معانى الوجوب بل هو جل شأنه الفاعل القادر المريد المختار وقد ثبت له كل ذلك بالدليل .

والمذهب الصحيح من هذه المذاهب هو مذهب أهل السنة لتوافر الأدلة على أن الله فاعل مختار لا يجب عليه فعل شئ و بالتالى فإن إرسال الرسل جائز فى حقه تعالى " وربك يخلق ما يشاء ويختار" أما المعتزلة والفلاسفة فكلاهما يجرد فعل الله من الإرادة والاختيار فيكون تعالى مقهورا وهو نقص لا يليق بالله (١) .

فوائد بعثة الرسل وحاجة البشر إليهم

خلق الإنسان تتنازعه قوى ثلاث قوة الشهوة وقوة الغضب وقوة العقل فقوة الشهوة والغضب تدفعانه إلى الشر بمقتضى ما ركب فيه من غرائز وشهوات وقوة العقل أودعها فيه المولى سبحانه وتعالى لتميل به إلى جانب الخير تأبى به عن الشر .

وقد غالى الفلاسفة والمفكرون فى تقديس العقل فقالوا إن العقل هو الذى يسيطرعلى حياة الإنسان فهو الذى يحدد موازين الخير والشر والفضيلة والرذيلة وهو الذى يشرع القوانين التى يتخذها الإنسان دستور الحياة ويكشف القوانين والمخترعات التى تزيد من رفاهية الإنسان وسيطرته على الطبيعة وأخيرا قالوا : إننا لا نقبل إلا ما يمليه

---

١ - انظر العقيدة الإسلامية على ضوء الفكر الإسلامي أ.د / شوقى ابراهيم على عبد الله صـــ ٢١٥ وما بعدها ط دار أبو المجد للطباعة القاهرة .

علينا عقلنا وهو قادر على أن لا يعرف كل شئ ويغنى الإنسان عن كل شئ .

فهو الذى يعرفنا الهدى من الضلال والرشد من الغنى لو دققنا النظر فى كلام هؤلاء لوجدنا فيه غرورا ظاهرا وثقة مطلقة بالعقل لا مبرر لها لأن المشاهد فى حياة الإنسان وسلوكه أن العقل الإنساني عندما تغيب عنه هداية السماء يضل فى تفكيره وتطغى عليه الشهوات وتميل به الأهواء عن سنن العدل ، ويتأثر بالشخصيات والعنصريات والإقليميات فيتمسك بالعقائد والعادات الموروثة عن الآباء والأجداد ويدافع عنها وإن كانت باطلة .

أيضًا لأن العقول متفاوتة فى إدراكها وفى حكمها على الأشياء فيستحسن بعضها ما يستقبحه البعض الآخر ويستقبح بعضها ما يستحسنه البعض الآخر فلا يحصل اتفاق على مقاييس موحدة للخير وللشر والفضيلة والرذيلة والحق .

وأيضا لأن العقل محدود الإدراك لا يستطيع التوصل إلى جميع المعارف فهو قاصر عن معرفة ما يسعده وما يشقيه فى حياته الدنيوية والأخروية ومن هنا كان احتياج البشر إلى الرسل وكانت حكمة العليم الخبير الذى يعلم قصور العقل عن ما ينفع الإنسان فى حياته فأرسل الرسل يكملون النقص فى العقل الإنساني ويعرفونه ما يسعده وما يشقيه من الاعتقادات والأعمال .

فالبعث الرسل فوائد كما يقول صاحب الطوالع وهى لطف من الله تعالى ورحمة للعالمين لما فيها من حكم ومصالح كما يقول صاحب المقاصد فمن فوائد بعثة الرسل : أنهم يعضدون العقل فيما يستقل

بمعرفته مثل معرفة وجوه الله تعالى وعلمه وقدرته وذلك لينقطع عذر المكلف من كل الوجوه .

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذا بقوله (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وتلك الحجة أن يقولوا : إذا كان الله تعالى قد خلقنا لنعبده فقد كان يجب أن يبين لنا العبادة ما هى ؟ وكم هى ؟ وكيف هى ؟ فبعث الله الرسل ليبينوا للناس طرق العبادة ويبينوا الشرائع مفصلة لتزول أعذارهم وتنقطع حجتهم يقول الإمام الرازى إرسال الرسل لقطع الحجة أما هذه الحجة فلها وجوها فلها وجوها ثلاثة :

الأول : أن يقول الناس : إن كان الله قد خلقنا لنعبده فقد كان يجب أن يبين لنا العبادة التى يريدها منا : ما هى ؟ وكم هى وكيف هى ؟ فإن أصل الطاعة أن حكم العقل بوجوبه لكن كيفيتها غير معلومة لنا – فبعث الله الرسل لقطع هذا العذر فإنهم إذا بينوا الشرائع المتصلة زالت أعذار الناس .

الثانى : أن يقول الناس : يا ربنا أنك ركبتنا تركيب سهو وغفلة وسلطت علينا الهوى والشهوات ، فهلا أمددتنا بمن إذا سهونا نبهنا .

وإذا مال بنا الهوى منعنا ولكنا لما تركتنا مع نفوسنا وأهوائنا كان ذلك أغراء لنا على تلك القبائح فبعث الله الرسل لقطع هذا العذر .

الثالث : أن يقول الناس : يا ربنا هب أننا بعقولنا علمنا حسن الإيمان وقبح الكفران ولكن لا نعلم بعقولنا أن من فعل القبيح عذب فى النار لا سيما وأن لنا فى فعل القبيح لذة وليس فيه كما أنا لا نعلم بعقولنا أن من آمن وعمل صالحا استحق الثواب الخالد فى الجنة لا سيما وأنا نعلم أنه لا منفعة لك فى شئ فلا جرم لم يكن مجرد العلم بالحسن والقبح

ولا وازعا .أما بعد البعثة فقد انقطعت هذه الأعذار فكانت البعثة قطعا لعذر الناس من هذه الوجوه ([1]) .

فكانت مهمة الرسل بيان المقاصد الإلهية للناس وتعريفهم بربهم وإصلاح حال الجماعة الإنسانية فى المعاش والمعاد ([2]) . ومنها أن يستفيد العقل للحكم من النبى فيما لا يستقل بمعرفته مثل إثبات صفة الكلام لله تعالى وإثبات الرؤية لله تعالى وإثبات المعاد الجسمانى وأحوال الجنة والنار ومنها بيان حال الأفعال التى تحسن تارة وتقبح أخرى من غير اهتداء العقل إلى مواقعها ومنها تعليم الصناعات الضرورية النافعة المكملة لأمر المعاش قال تعالى فى داود عليه السلام (وعلمنا صنْعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم) ([3]) وكانت هذه الصنعة هى صناعة الدروع التى تلبس فى الحرب فتحفظكم من الأعداء :

وقال تعالى لنوح عليه السلام (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا) فقد علمه الله تعالى صناعة السفن وكان نوح أول من علمها للناس وكذلك صناعه الغزل والنسيج والخياطة والبناء تعلمها الناس من الأنبياء([4]) .

قال ابن حزم :

ومن البرهان على ما ذكرنا : أننا نجد كل من لم يشاهد هذه الأمور لا سبيل له إلى اختراعها ألبته كالذي يولد وهو أصم فإنه لا يمكن له ألبته الاهتداء إلى مخارج الحروف وكالبلاد التى ليست فيها بعض الصناعات وهذه العلوم المذكورة كبلاد السودان والقالية وسكان البوادى فإنه لا يمكن آليته منذ أول العالم وإلى وقتنا هذا ولا إلى

١- تحصل الأفكار المتقدمين و المتأخرين – فخر الدين الرازى صـ٢١٤ ط مكتبة الكليات الأزهرية .

٢ – راجع شرح المقاصد لسعد الدين التفتازانى ج ٢ صـ١١٣ .

٣- سورة الأنبياء رقم ٨٠ .

٤ – انظر النبوات والسمعيات د / محى الدين الصافى صـ١٦ وما بعدها .

انقضائه اهتداء أحد منهم إلى علم لم يعرفه ولا إلى صناعه لم تعرف بها ([1]) .

ومنها بيان منافع الأغذية والأدوية ومضارها ولو تركك لما وفت أعمارهم للوصول إلى منافعها ومضارها ولمات خلق كثير فى التجارب يقول الإمام الغزالى إن علم الطب والنجوم لم يعرفه الناس إلا من الرسل " فمن بحث عن هذه العلوم وجد أنها لا تدرك إلا بالهام وتوفيق من الله تعالى ،ولا سبيل إليها بالتجربة ، فمن الأحكام النجومية ما لا يقع إلا فى كل ألف سنة مرة" فكيف ينال ذلك بالتجربة" وكذلك خواص الأدوية فإن من النباتات ما هو سم قاتل فلو جربه الناس بأنفسهم لمات خلق كثيرون" ([2]) ويريد الغزالى بهذا أن أصول هذين العلمين عرفهما الغاس من الأنبياء والدليل على ذلك تحريم لحم الميتة ولحم الخنزير والخمر عن طريق الرسل فإن العقل لم يعرف بمفرده ، سر التحريم ثم لما تقدم البحث العلمى وأجريت التجارب استطاع الأطباء أن يعرفوا ضرورة على الجسد وفهمنا الحكمة من تحريم الله لهذه الأشياء فمن الرسل من عرف الناس خواص الأدوية وطبائعها وعرفوا منافعها من غير تعب ولا خطر ، ومنها تعليم الناس الأخلاق الفاضلة الراجعة إلى الأشخاص وتعليمهم السياسات الكاملة العائدة إلى الجماعات .

ومنها الإخبار بتفاصيل ثواب المطيع وعقاب العاصى ترغيبا فى الحسنات وتحذيرا من السيئات فالعقل البشرى لا يستطيع أن يعرف ما يرضى الله تعالى من الاعتقادات والأعمال حتى يفعله ليكون مثابا فى الآخرة وكذلك لا يعرف ما يغضب الله تعالى فيجنبه لئلا يعرض نفسه للعقاب فالعقل محتاج لمن يعرفه ذلك بالتفصيل وهم الرسل الذين

---

١ – صـــ ٥٨ ج ١ الفصل .
٢ – المنقذ من الضلال .

اختارهم الله تعالى من أكرم الناس وأطهرهم أخلاقا وقوى عقولهم وأروحهم لتكون مستعدة لتلقى وحيه وشرائعه وتبليغها إلى الناس ليسعدوا فى ديناهم وأخراهم فلولا الرسل لكان الناس همجا متقاتلين متدبرين لا يتحقق العدل فى مجتمعاتهم ولذلك أرسلهم الله ولم يترك الناس أحرارا فى اتباعهم أو عدم اتباعهم بل حكم بالكفر على من عصى الرسل وكفر برسالتهم وتوعده بالخلود فى النار ذلك لأن معظم الناس لا يعرف مصلحته ويفضل اللذة الحاضرة الفائية على النعيم الدائم الذى أعده الله تعالى له فى الجنة إذا استقام على الشريعة ونفذ أوامر الله وانتهى عن نواهيه فحاجة البشر إلى الرسل حاجة ملحة لأن المجتمع البشرى لا يستغنى عن تعاليمهم لأنها أقوى العوامل فى تقويم أخلاق الخاصة والعاملة وسلطانها على النفوس أقوى من سلطان العقل الذى هو خاصة نوعهم ، ذلك لأنها من عند العليم الخبير الذى يعلم ما يصلح عباده ، فيفرضه عليهم و يتعبدهم به ويحاسبهم أشد الحساب إن أهملوا وفرطوا فيه .

ولم نر أمة انقادت إلى رأى عاقلهم على أنه الصواب أو عمل أهلها الخير طافية من المنفعة لعامتهم وخاصتهم أو انتهوا عنه لما يجلبه عليهم من مضار ومهالك مجرد أن يأمرهم عاقلهم بذلك سواء كان فيلسوفا أو سياسيا أو مصلحا اجتماعيا فإن هذا لم يعهد فى أى زمان أو أى مكان وإنما ينقادون لتعاليم الأنبياء فأتباع الفلاسفة أقل من القليل واتباع الأنبياء يعدون بالملايين (١) .

---

١ - انظر النبوات والسمعيات صـــ ١٩ .

حاجة البشر إلى الرسل على طريقة الحكماء

قال صاحب المقاصد الفلاسفة يقرون بالاحتياج إلى النبى و الشريعة وبثبوت المعجزة لكن يقرون ذلك على وجه لا يوافق ما علم بالضرورة من الدين " أما تقريرهم فى الاحتياج إلى النبى فقد ذكره أبن سينا فى الإرشادات وملخصة : أن الإنسان مدنى بطبعه أى يحتاج إلى أن يعيش مع بنى جنسه فى مجتمع ليتعاونوا ويتشاركوا فى جلب المنافع ودفع المضار .

وذلك بتحصيل الغذاء وصنع الملابس الواقية من الحر والبرد وصنع المساكن الواقية لهم بحسب الفصول المختلفة وصنع السلاح الذى يحميهم من الوحوش والأعداء وكل هذه الصناعات لا تستطيع الإنسان أن يقوم بها بنفسه فلا بد من مشاركة آخرين له فى المجتمع ويقسمون الصنائع فيما بينهم بحيث يكون أحدهم خيازا والآخر نساجا والثالث بناء والرابع حدادا وهكذا ويسمى ذلك معارضة .

ثم بعد ذلك يتبادلون نتائج صناعاتهم ويسمى ذلك معاوضة وهذه المعاوضة لو تركت من غير قانون ينظمها كل منهم على حق صاحبه فيأخذ منه منتجاته بثمن بخس ويبيعه ما يصنعه بثمن باهظ .

وذلك لما جبل عليه كل واحد من أنه يشتهى ما يحتاج إليه ويغضب على من يزاحمه فى ذلك لأن الإنسان أنافى بطبعة يحاول أن يستولى على ما فى يد أخيه ويسلبه إياه إما بالاحتيال أو بالسرقة أو بالغصب وإن أدى ذلك إلى القتل فيختل نظام المجتمع من وقوع هذا الجور فلابد من قانون ينظم هذا التعامل وهذه المعارضة بين أفراد المجتمع ويحفظ العدل بينهم ولو ترك هذا القانون لأفراد المجتمع ليضعوه لاختلفوا فيما بينهم فيختل أمر النظام هذا فضلا عن أن عقل

واضع القانون قاصر لا يستطيع أن يضع ما يحقق مصلحة جميع أفراد المجتمع وطوائفه فلابد من إنسان يكون متميزا باستحقاق الطاعة من الكل لخصوصية فيه فيكون هو الشارع لهذا القانون وذلك الإنسان هو النبى فلابد من أمر مختص به يدل على أن شريعته من عند ربه ويقتضى لمن وقف عليه أن يقر بنبوته وينقاد له وهو المعجزة وذلك القانون هو الشرع وتلك الخصوصية فى البعثة والنبوة وهذا القانون لابد أن تفرض فيه معرفة المجازى والشارع بصفاته الواجبة الثبوت له ولابد أن يكون فيه جزاء للمطيع والعاصى لتكون هناك رغبة فى التزام هذا القانون ورهبة من مخالفته ولابد أن تفرض عبادات تذكر بالمجازى والشارع .

ولابد أن تكرر ليستحفظ التذكير بالتكرير فى الأوقات المتتالية فيظل الإنسان مستحضرا لعظمة الشارع والمجازى فيلتزم بهذا القانون.

هذا ما ذكره الفلاسفة فى حاجة البشر وهو كلام جيد إلا أنهم قرروا خواص النبى على خلاف ما علم بالضرورة من الدين .

الفصل الثانى

أهم مزايا دعوة الأنبياء

تمهيد

إن المتأمل فى دعوة الأنبياء من خلال القصص القرآنى يجد أن : مما دعا الرسل عليهم الصلاة والسلام أقوامهم إليه هو الإيمان بهم وأنهم مرسلون من عند الله تعالى ومن تتبع سور القرآن وخاصة السور المكية منها يرى أن جميع الرسل عليهم السلام قد بذلوا غاية وسعهم وقصارى جهدهم فى إثبات رسالتهم لأقوامهم وذلك بالأدلة الواضحة الدافعة والبراهين الساطعة ومن أجل إثبات الرسل لرسالاتهم نراهم قد واجهوا العديد من ألوان التكذيب والإعراض والجحود والعناد واختلاق الأباطيل والشبهات حول الرسالات ، وهذه الأباطيل التى جابهت حقائق الأنبياء كل فى عصر دعوته نرى أنها لم تقف عند هذا الحد فى زمن من الرسل بل ظلت موجة الأباطيل والأضاليل هذه تستشرى إلى يومنا هذا تحاول نسف جميع الحقائق متصورة العصر الذى تعيش فيه [1]

ومما لا شك فيه أننا نستفيد من أساليب الرسل عليهم السلام فى دحض شبهات الباطل وفى صمودهم على الحق واضعين أمام أعيننا قول الله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) [2]

١- مناهج أولى العزم من الرسل د / عبد الوهاب عبد العاطى ط دار الطباعه المحمدية ط ١ سنه ١٤١٢ هـ .

٢ - سورة الأنبياء الآية (١٨) .

هذا ... ولقد ذكر القرآن الكريم عددا من الأساليب والمزايا التى سلكها رسل الله تعالى عليهم السلام من أجل إثبات دعوتهم وهذا هو ما نوضحه إن شاء الله تعالى فى الصفحات التالية .

المزية الأولى : وهى أن دعوة الأنبياء ربانية ، فهى بوحى وتكليف من الله عز وجل فليست نابعة من نفوسهم وليست نتيجة للعوامل الاجتماعية التى تكون فى زمانهم من ظلم وبغى وجور واستبداد ، كما أنها ليست نتيجة تفكيرهم العميق ، بل هى بوحى من الله وتكليف من البارى جل وعلا فكل ما جاء به الأنبياء إنما مصدره الوحى فكل نبى من أنبياء الله تعالى قد أعلن ذلك فى بدء دعوته قال تعالى على لسان رسله عليهم السلام (إن أتبع إلا ما يوحى إلى) (١) فليس لهم إلا تبليغ أوامر الله تعالى وهذا هو ما فعله الرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى قرية أنطاكيه (٢)

١- سورة الأحقاق الآية (٩) ، سورة يونس الآية (١٥) .

٢- أكثر أقوال المفسرين أن أنطاكيه تقع فى شمال سوريا . راجع دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة محمد ثابت وآخرين ج ٣ ص ٦٢ أما ما يؤكد أن هذه الايات ذكرت فى شأن أهل أنطاكيه فهو كما يلى : أخرج الفريانى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله " واضرب لهم مثلا أصحاب القريه" قال هى أنطاكيه ، وأخرج ابن أبى خاتم عن بريده " أصحاب القريه" قال أنطاكيه .وأخرج ابن سعد وابن عساكر من طريق الكلى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان موسى بن عمران عليه السلام بينه وبين عيسى ألف سنه وتسعمائة سنه وكان بينهما من بنى إسرائيل ثم من أرسل من غيرهم وكان بين ميلاد عيسى والنبى محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنه وتسع وستون سنه بعث فى ثلاثة أنبياء وهو قوله (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث) والذى عزز به شمعون وكان من الحوارين وكانت الفترة التى ليس فيها رسول أربعمائة سنة وثلاثين سنة .

اثنين قال يلقى أن عيسى بن مريم بعث إلى القريه وهى أنطاكيه رجلين من الحواريين وأتبعهم بثالث راجع الدر المنثور فى التفسير بالمأثور - السيوطى ح ٧ ص ٤٩ ، ٥٠ وقيل إن أول من بناها وسكنها أنطاكيه بنت الروم بنت اليقين بن سام بن نوح عليه السلام . معجم البلدان ج ١ صـــــ٣١٦ لشهاب الدين البغدادى تحقيق / فريد الجندى ط دار الكتب العلمية .

حيث قالوا ردا على قومهم الذين اتهموهم بالكذب قالوا كما حكى القرآن الكريم عنهم (قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين) ([١])

يقول فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوى : إن أول وأهم ما يمتاز به معشر الأنبياء أن العلم الذى ينشرونه بين الناس والعقيدة التى يدعون إليها يقومون بها لا تنبع من ذكائهم أو حميتهم أو تألمهم بالوضع المزرى الذى يعيشون فيه ، أو من شعورهم الرفيع الحساس وقلبهم الرقيق الفياض ، أو تجارتهم الواسعة الحكيمة لا شئ من ذلك إنما مصدرها الوحى والرسالة التى يصطفون لها ويكرمون بها ، فلا يقاس إبداء على الحكماء أو الزعماء أو المصلحين وجميع أصناف القادة الذين جربتهم البشرية وتاريخ الإصلاح والكفاح الطويل ، والذين هم نتيجة بيئتهم وغرس حكمتهم وصدى محيطهم ورد فعل لما كان يجيش به مجتمعهم من فساد وفوضى ، والقول الفصل فى ذلك قول القرآن الكريم على لسان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) ([٢]) وقال أيضا (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) ([٣])

لذلك لا يخضع الرسول لعوامل نفسية داخلية أو حوادث وقتية خارجية ولا يدير رسالته حيث دارت الأحوال والأوضاع وشاء

---

١ - سورة يس الآية ١٦ ، ١٧ .
٢- سورة يونس الآية (١٦) .
٣- سورة الشورى الآية ٥٣ .

المجتمع وقد قال الله عن رسوله الكريم (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) ([1])

و لا يستطيع أن يحدث تغييرا أو تبديلا أو تحويرا أو تعديلا فى رسالته وقد قال الله لرسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم (قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم) ([2])

و هذه هى السمة الفاصلة الأساسية المميزة بين الأنبياء صلوات الله عليهم وبين القادة والزعماء الذين تكون رسالتهم وكفاحهم وحى بيئتهم وثقافتهم ومشاعرهم ، والذين يلاحظون دائما البيئة والمجتمع والظروف والأحوال ويراعون المصلحة والسياسة ويخضعون لها فى كثير من الأحوال فيتنازلون عن أشياء كثيرة بل وقد يتساومون مع الأحزاب ويتبادلون معها المنافع ومبدأ كثير منهم الذين يأخذون به در مع الدهر كيف دار ([3])

ويظهر لنا الفرق جليا واضحا فى سيرة الأنبياء الكرام حيث لا يقبلون المساومة على شئ من أمور الدعوة مهما كان الثمن بخلاف دعوة الزعماء والمصلحين ، فحين عرض المشركون عروض سخية على رسول الله عليه الصلاة والسلام بقيادة عتبة بن ربيعة ، وكان من جملة تلك العروض أن يملكوه عليهم أو يدفعوا له كرائم أموالهم ويعطوه ما شاء من مال ومتاع وهذا هو ما ذكره ابن هشام ونص القول من عتبة هكذا . قال يا ابن أخى إن كنت تريد بما جئت به من

١ – سورة النجم الاية ٣ ، ٤ .
٢ – سورة يونس الاية (١٥) .
٣– راجع كتاب النبوة والأنبياء للشيخ أبو الحسن الندوى صـــــ٣٥ ، ٣٦ ط دار القلم ط ٤ سنه ١٣٣٤ هــ .

هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر منا مالا وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه [١] . كل ذلك مقابل أن يترك رسول الله الدعوة ويعرض عن ذم الآلهة والسخرية بالأوثان والأصنام فماذا كان جوابه صلى الله عليه وسلم ؟ وماذا كان موقفه ؟ لقد قال قولته المشهورة التى لا يزال يرددها الزمان " والله لو وضعوا الشمس عن يمينى والقمر عن يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه" [٢]

المزية الثانية : أن الأنبياء لا يطلبون أجرا .

إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا لا يطلبون أجرا من أحد ولا يقبلون على تبليغ الرسالة ثمنا من إنسان إنما يطلبون الأجر والثواب من الله تبارك وتعالى ، فكل نبى من الأنبياء كان يعلن على رؤس الأشهاد علانية وجهارا أنه لا يريد أجرا على الدعوة ، ويقرر بكل وضوح وجلاء أن دعوته لم تكن من أجل طلب الدنيا أو طلب المال .

وهذا هو ما فعله الرسل الذين أرسلوا إلى قرية أنطاكيه فلقد ذكر الرجل الذى جاء من أقصى المدينة ذلك [٣]

---

١ -السيرة النبوية لابن هشام ح ١ صـــ٢٠٦ ط دار التوفيقية للطباعة- الأزهر .

٢- نفس المرجع ح ١ صــــ١٨٩ .

٣ - هذا الرجل هو حبيب النجار ولقد حضر الرسل الذين أرسلوا وهم صادق ، صدوق شمعون ، وكان رجلا سقيما وكان عمله الحرير ، وعندما هم أهل القرية بقتل الرسل قال يا قوم اتبعوا المرسلين حينئذ وطئوة بأرجلهم فأدخله الله الجنة حيا يرزق فيها راجع فى ذلك معجم البلدان ج ١ صــ٣١٩ ومختصر تفسير ابن كثير ج ٣ صــ ١٥٩ ، ١٦٠ ط دار التراث العربى للطباعة والنشر - القاهرة سنه ١٤٠٧ هـــ ، ١٩٨٧ م .

وقرر أنهم لا يأخذون على دعوتهم أجرا إلا من الله والقرآن الكريم يوضح ذلك قال تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجر وهم مهتدون) (١) وهذا هو ما كان يوضحه كل نبى مرسل فهذا هو نوح عليه السلام يخاطب قومه قائلا (ويا قوم لا أسئلكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله ... الخ) (٢)

وهذا هو هود يخاطب قومه (يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلون) (٣)

وهذا هو خاتم الأنبياء والمرسلين يقول : (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) (٤)

وهكذا كان الرسل الكرام لا يدعون احد بقصد الكسب المادى أو الربح الدنيوى إنما يعلنون أنهم لا يطلبون أجرهم إلا من الله ، فهم فى دعوته يخلصون العمل وفى نصحهم وإرشادهم لا يرجون الثناء أو المدح إنما يقصدون ثواب الآخرة ووجه الله عز وجل عاملين بقول الله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) (٥)

المزية الثالثة : وهى إخلاص الدين لله وحده

إن إخلاص الدين لله وحده كان هو الهدف الذى دعا إليه جميع الأنبياء فى كل عصر وزمان ، وفى كل بيئة ومكان فلم يكن هدف

١- سورة يس رقم ٢٠ ، ٢١ .
٢- سورة هود الآية ٢٩ .
٣- سورة هود الآية ٥١ .
٤- سورة ص الآية ٨٦ .
٥- سورة الكهف الاية ١١٠ .

الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إلا أن يوجهوا المخلوق الضعيف إلى خالقه العظيم القدير وأن يصرفوا وجه البشر من عبادة العباد إلى عبادة رب الأرباب ([١]) وذلك عملا بقول الله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) ([٢])

ولقد أرسل الله تعالى جميع الرسل بهذه الدعوة الكريمة،دعوة التوحيد وإخلاص النية والعمل له تعالى وذلك عن طريق إفراده بالعبادة ، ولذلك خاطب الله رسوله الأعظم مبينا وموضحا له ما كان عليه الرسل السابقة قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله أنا فاعبدون) ([٣])

فالأنبياء عليهم السلام كان أول دعوتهم وأكبر هدفهم فى كل زمان وفى كل بيئة هو تصحيح العقيدة فى الله تعالى وتصحيح الصلة بين العبد وربه ، والدعوة إلى إخلاص الدين وأفراد العبادة لله وحده ، وأنه هو النافع الضار المستحق للعبادة والدعاء والالتجاء وحده ، وكانت حملتهم مركزة موجهة إلى الوثنية القائمة فى عصورهم الممثلة بصورة واضحة فى عبادة الأوثان والأصنام والصالحين ، من الأحياء والأموات الذين كان يعتقد أهل الجاهلية أن الله قد خلع عليهم لباس الشرف والتأليه وجعلهم متصرفين فى بعض الأمور الخاصة ويقبل شفاعتهم فيهم بالإطلاق ([٤]) .

١- النبوة والأنبياء للصابون صـــ٣٢ - ٣٣ ط دار الصابون سنه ١٣٩٠ هـــ .
٢- سورة السنة الآية (٥) .
٣- سورة الأنبياء الآية ٢٥ .
٤- النبوة والأنبياء للصابونى صـــ٣٣ .

فلو تتبعنا دعوة الرسل من آدم إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم مقلبين صفحات القرآن الكريم وصفحات السنة وصفحات التاريخ لوجدنا ذلك واضحا من خلال دعوة الأنبياء جميعا .

المزية الرابعة : وضوح الهدف والغاية .

إن المتتبع لقصص الأنبياء والمرسلين يجد أن الهدف واحد وأن الغاية واحدة ولذلك كان ذكر الرسالات السابقة أسلوبا هاما جدا لإثبات الرسالة المحمدية وإمكان بعثة البشر من الناس فالقرآن وضح ما تحمله دعوة الأنبياء السابقين على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وأتم الدعوة بخاتم الأنبياء والمرسلين فكان هدفهم واحد وغايتهم واحدة .

يقول ابن تيميه : يقرر الرب تعالى فى القرآن أمر النبوة وإثبات جنسها بما وقع فى العالم من قصة نوح وقومه وهود وقومه وصالح وقومه وشعب ولوط وإبراهيم وموسى وغيرهم ، فهو سبحانه يثبت وجود جنس الأنبياء ابتداء كما فى السور المكية حتى يثبت وجود هذا الجنس وسعادة من اتبعه وشقاء من خالفه ثم نبوة عين هذا النبى تكون ظاهرة ، لأن الذى به أكمل مما جاء به جميع الأنبياء فمن أقر بجنس الأنبياء كان إقراره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى غاية الظهور (١)

ولذلك كانت دعوة الرسول محمد من جنس دعوة السابقين وجميعهم كانوا يدعون الناس إلى هدف واضح وإلى فكرة بينة ليس فيها غموض لتستمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوضح

---

١ - النبوات لابن تيميه صـــ٢٦ بتصرف ط دار الفكر .

ذلك (قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين) [1]

فطريقة الأنبياء واضحة ودعوتهم ظاهرة ساطعة مثل الشمس فى رابعة النهار ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم " لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك" [2]

وهكذا نجد أن الأنبياء الكرام إنما دعوا الناس إلى رسالة ربانية ذات هدف واضح وغاية نبيلة وهم فى دعوتهم لا يسلكون الطرق الملتوية التى تخفى وراءها الغرض والهدف من تلك الدعوة [3]

١- سورة يوسف الاية ١٠٨ .
٢- الحديث فى مسند الإمام أحمد ح ٥ صـ١٠٩ط دار إحياء التراث العربى-بيروت
٣- النبوة والأنبياء للصابونى صـ٣٥ .

الفصل الثالث

طرق الاستدلال على النبوة

لقد اختلف العلماء فى طرق الاستدلال على النبوة فمنهم من ذهب إلى أن المعجزة هى الطريق الوحيد للاستدلال عليها وهو إمام الحرمين وحجته فى ذلك : أنه لو كان هناك طريق آخر لإثبات النبوة ولم يكن خارقا للعادة ، أو كان خارقا ولم يكن مقرونا بدعوى النبوة لا يصلح دليلا للاتفاق على جواز وقوع الخوارق من الله ابتداء (١)

يقول د / سعد الدين معلقا على رأى إمام الحرمين وفى نظرى أن حجة إمام الحرمين هى مجرد تكرار للدعوى فقط ولم يأت بدليل يثبت دعواه (٢) لذلك ذهب جمع كبير من العلماء من بينهم الإمام سعد الدين التفتازانى والإمام ابن تيميه والإمام أبو جعفر الطحاوى صاحب العقيدة الطحاوية إلى أن هناك طرقا كثيرة لإثبات النبوة ذكر الإمام سعد الدين التفتازانى فى شرح المقاصد ثلاث طرق وأضاف الإمام أبو جعفر الطحاوى طرقا أخرى (٣)

نذكر الطرق التى ذكرها الإمام التفتازانى والإمام أبو جعفر الطحاوى ثم بعد ذلك نذكر خلاصة الأمر عند المتكلمين والفلاسفة .

أما عن الطرق التى ذكرها التفتازانى فهى :

١- خلق العلم الضرورى عند بعض الناس بأن هذا النبى صادق وذلك كما حدث لخديجة حين قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،

١- الإرشاد - للجوينى ص ٣٣١ مكتبة الخاتجى - القاهرة - سنه ١٣٦٩ هـ .
٢- المعجزة والإعجاز د / سعد الدين صالح ص ١٨ .
٣- نفس المرجع .

إنك لتصل الرحمن وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر ، فهذه الشهادة من السيدة خديجة رضى الله نعها لم تقم إلا على أساس من العلم الضرورى الذى خلقه الله عندها بأنه صادق .

ومن ذلك أيضا علم أبو بكر الصديق بصدق النبى صلى الله عليه وسلم دون حاجة إلى ظهور خوارق العادات على يديه (١) يقول ابن تيميه : إن كثيرا من الناس يحصل لهم علم ضرورى بأن هذا النبى صادق ، وهذا المتنبى كاذب من قبل أن يروا خارقا للعادة منفصلا عنه (٢) وقد ورد فى السنة ما يؤيد ذلك فقد روى الترمذى " أن عبد الله بن سلام قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب" (٣)

وهكذا خلق الله فيه وفى أمثاله علما ضروريا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم صادق ولم يرو معجزاته ، هذا إن دل فإنما يدل على أن المعجزة ليست هى الطريق الوحيد لإثبات النبوة .

٢- خبر من ثبت عصمته عن الكذب كنصوص التوراة والإنجيل التى بشرت بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث احتوت التوراة والإنجيل على كثير من النصوص الواضحة فى إثبات نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم (٤)

ولا يخفى علينا أن هذه الكتب معصومة من الخطأ حين نزلت من السماء على موسى وعيسى ولكنها بعد ذلك تعرضت للتحريف

---

١ - شرح المقاصد للتفتازانى ج ٢ ص ١٣٢ .

٢ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٤ ص٣١٠ ط بمطبعة المدنى- مصر سنه بدون تاريخ .

٣ - صحيح الترمذى : القيامة ج ٩ ص ٣٠٠ ط دار الكتب العلمية بيروت

٤- شرح المقاصد ج ٢ ص ١٣٢ ، ١٣٣ للإمام سعد الدين التفتازانى .

للتزييف وعلى الرغم من ذلك إلا أن هناك بشارات باقية بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك كما فى إنجيل برنابا الذى بشر فيه بنبوة سيدنا محمد ونحن نأخذ بها ونصدقها لأنها تتفق مع ما ورد فى القرآن الكريم على لسان عيسى بن مريم قال تعالى (وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ...) (1)

٣- **المعجزة** : فإثبات النبوة يكون أيضا بالخوارق والمعجزات التى تظهر على أيدى الأنبياء سواء كانت المعجزة حسية كإحياء الموتى وقلب العصا ثعبان وانشقاق القمر أو معنوية كالقرآن الكريم .

أما الإمام الطحاوى فقد أكد أن المعجزة ليست هى الطريق الوحيد لإثبات النبوة إذ يقول : لا ريب أن المعجزات دليل صحيح ولكن الدليل غير محصور فى المعجزات والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوة النبى فكيف بدعوة النبى ويستشهد على ذلك بما قاله حسان بن ثابت رضى الله عنه :

ولو لم يكن فيه آيات مبينة　　　كانت بديهته تأتيك بالخبر (2)

لذلك يذكر الإمام الطحاوى طرقا أخرى غير المعجزة لإثبات النبوة منها :

١ -قرائن أحوال الأنبياء من حيث نشأتهم وأخلاقهم ونسبهم وصفاتهم .

قال القاضى عياض : إذا تأمل المنصف ما قد مناه من جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله

١- سورة الصف الآية (٦) .

٢- شرح العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوى صـــ١٥٠ط المكتب الإسلامى- بيروت

وجميع خصاله وشاهد حال وصواب مقاله لم يمتر فى صحة نبوته وصدق دعوته ([١])

ومن هذا الطريق سلم هرقل ملك الروم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم حين سأل أبا سفيان عددا من الأسئلة عن نسبه وأخلاقه وأتباعه وما يأمرهم به وما ينهاهم عنه وبعد أن أجاب أبو سفيان بين لهم هرقل ما فى قرائن أحوال النبى محمد صلى الله عليه وسلم من وجه للدلالة على نبوته .

قال هرقل : سألتكم هل كان فى آبائه من ملك ؟ فقلتم لا قلت لو كان فى آبائه من ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتكم هل قال هذا القول فيكم قبله ؟ فقلتم لا ، قلت لو قال هذا القول أحد قبله لقلت رجل إئتم بقول قبل قبله ، وسألتكم هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقلتم لا فقلت قد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله وسألتكم أضعفائهم الذين يتبعونه أم أشرافهم ؟ فقلتم ضعفاؤهم وسألتكم أيزيدون أم ينقصون ؟ فقلتم بل يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم وسألتكم هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطا له بعد أن يدخل فيه فقلتم لا ، وكذلك الإيمان إذ خالط بشاشة القلوب لا يسخطه أحد وسألتكم كيف الحرب بينكم وبينه ؟ فقلتم إنها دول ، وكذلك الرسل تبتلى وتكون العاقبة لهم .

وسألتكم هل يغدر فقلتم لا ؟ وكذلك الرسل لا تغدر وسألتكم عما يأمركم به ؟ فذكرتم أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم وهذه صفة النبى وقد كنت أعلم أنه نبيا سوف يبعث ولم أكن أظنه فيكم ،

١- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيميه ج ٤ صـــــ٣١٤ .

ولولا ما أنا فيه من الملك لذهبت إليه وإن يكن ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين ([1]).

وهكذا أدرك ملك الروم من قرائن أحوال محمد صلى الله عليه وسلم أنه صادق فى دعواه وقام عنده الدليل على نبوته من طريق المعجزة غير أن من العلماء من رد هذه الطرق المتعددة إلى المعجزة كالإمام سعد الدين التفتازانى حيث قال : وأما الاستدلال على نبوة محمد بما شاع من أخلاقه وأحواله فهو عائد إلى المعجزة ([2])

يقول الدكتور/سعد الدين صالح معلقا على هذا الرأى : وهو على حق فى هذا فقد كانت أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم ضربا من خوارق العادات،إذ كيف يخرج على أخلاق قومه وعاداتهم وتقاليدهم فلم يسجد لصنم قط ولم يشرب خمر قط ، ولم يكذب أبدا وهو الذى نشأ فى بيئة انطبعت بهذه الصفات، إذا فأخلاقه كانت ضربا من الخوارق ، إذ المعهود أن تأتى أخلاق الفرد وصفاته صورة لبيئته أو كما قالوا إن الإنسان هو ابن بيئته فكن أخلاق الرسول تأتى مناقضة لأخلاق بيئته هو أمرخارق للعادة ، هذا بالإضافة إلى أن بعض الأسئلة التى طرحها هرقل عما كان يأمر به النبى من التوحيد والأخلاق الطيبة هو من صميم المعجزة القرآنية.إذا فقرائن الأحوال تلك عائدة إلى المعجزة وليست طريقا مستقلا ([3])

---

[1]- شرح العقيدة الطحاويه صـــ١٥٣ ، ١٥٤ وما بعدها طبعة المكتب الإسلامى ببيروت-تحقيق جماعة من العلماء وراجع فى ذلك المعجزة والإعجاز د / سعد الدين صالح ص ٢٠ ، ٢١ ومقدمة ابن خلدون ص ٩٣ دار القلم - بيروت .

[2] - شرح المقاصد ح ٢ صـــ ١٣٣ للتفتازانى .

[3]- المعجزة والإعجاز د / سعد الدين صالح صـــ ٢٢ .

٢- طريق التواتر :

فقد نقل إلينا متوترا أن الله أرسل رسلا وأنزل معهم كتبا ، وهذه الأخبار المتواترة صادقة صدقا بينا وتثبت نبوة الأنبياء ([1]) .

يقول الإمام الطحاوى : وبالجملة فالعلم بأنه كان فى الأرض من يقول إنه رسول الله وأن أقواما اتبعوهم وأن أقواما خالفوهم وأن الله نصر الرسل والمؤمنين وجعل العاقبة لهم ، وعاقب أعداءهم هو من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها ونقل أخبار هذه الأمور أظهر وأوضح من نقل أخبار من مضى من الأمم من ملوك الفرس وعظماء الطب كأبى قراط وجالينوس وسقراط وأفلاطون وأرسطو وأتباعه ([2])

ونحن اليوم قد علمنا بالتواتر من أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم علمنا يقينا أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة ، منها أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك وبقاء العاقبة لهم ومنها ما أحدثه الله لهم من نصرهم وإهلاك عدوهم ، ومنها أن من عرف ما جاءت به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها تبين له أنهم أعلم الخلق وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب ([3]) .

منهج المتكلمين والفلاسفة فى إثبات النبوة

بعد أن تتبعت آراءهم فى هذا الشأن اتضح لى أن أكثر المتكلمين وفلاسفة الإسلام قد سلكوا منهجين فى إقامة الأدلة على إثبات النبوة .

---

[1]- نفس المرجع والصفحة .
[2]- شرح العقيدة الطحاويه للإمام ابن أبى العز صـــ١٥٦ .
[3]- المرجع السابق صـــ١٥٦ ، ١٥٧ .

أولا : إثبات النبوة بالخوارق والمعجزات التى تظهر على أيدى الأنبياء سواء كانت المعجزة حسية كإحياء الموتى وقلب العصا ثعبان وإنشقاق القمر أو معنوية كالقرآن الكريم وقد أقر كل من المتكلمين وفلاسفة الإسلام بهذا المنهج إلا أن الفلاسفة يفرقون بين المعجزة الحسية والمعجزة المعنوية ، فيجعلون الأولى لعامة الناس والثانية لخاصة الناس .

ثانيًا : طرق غير خوارق العادات السنن المألوفة وذلك كما ذكرنا واستدللنا من معرفة أحوال الأنبياء وصفاتهم وما يمتازون به دون غيرهم من الناس .

هذا وقد اتخذ العلماء من إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أساسا لإثبات سائر النبوات ، ولذلك يقول أحدهم : فإن نبوة سائر الأنبياء من قبله تثبت تلقائيا لو ثبتت نبوته لكونه آخر الأنبياء ، ولأنه يصدقهم ولا ينكرهم ، ولأن نجاة البشرية أو إهلاكها فى معركة الحياة رهن بإيمانها بهذا النبى أو تكذيبها (١) .

وفى الصفحات التالية نتناول هذين المنهجين بالتفصيل ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .

المنهج الأول : طريق خوارق العادات

المتكلمون

أما عن المتكلمين فإن أكثرهم يعتمد على المعجزات فى الاستدلال على صدق الأنبياء فلو تتبعنا آراءهم لوجدنا ذلك واضحا فى كتبهم .

١- الإسلام يتحدى وحيد الدين خان صـــ ١٥٦ .

يقول البغدادى متحدثا عن رأى الأشاعرة : قالوا لابد للنبى من معجزة تدل على صدقه فإذا ظهرت معجزة واحدة تدل على صدقه وعجزوا عن معارضته بمثلها فقد لزمتم الحجة فى وجوب تصديقه ووجوب طاعته فإن طالبوا بمعجزة سواها فالأمر إلى الله إن شاء أيده وإن شاء عاقب الطالبين له بها ([1])

ويقول القاضى عبد الجبار متحدثا عن رأى المعتزلة : إن الله تعالى إذا بعث رسولا ليعرفنا المصالح فلابد من أن يدعى النبوة ويظهر فيه العلم المعجز الدال على صدقه عقيب دعواه للنبوة ([2])

ويقول ابن تيميه متحدثا عن رأى السلف : إن هذه الطريقة هى من أتم الطرق عند أهل الكلام والنظر حيث يقررون نبوة الأنبياء بالمعجزات ([3])

ونفس هذا الاتجاه ذهب إليه صاحب حق اليقين ([4]) وصاحب أصول العقيدة من الشيعة ([5]) وصاحب غاية المرام فى علم الكلام ([6]) بل هناك من المتكلمين من ذهب إلى أبعد من ذلك فى مدى الاعتماد على المعجزة فى إثبات النبوة ، من بينهم ، إمام الحرمين الجوينى إذ يقول : وإذ تقرر أن النبوات ليست من المستحيلات فنذكر بعد ذلك فصلا من دلالة ثبوت النبوة ووقوعها وهى المعجزة . ([7])

---

[1] – الفرق بين الفرق للبغدادى صـــ٢٦٦ ط دار الكتب العلمية ببيروت .
[2] – شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار صـــ٥٦٨ .
[3] – شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية صـــ٧٧ .
[4] – حق اليقين السيد عبد الله شبر ح ١ صـــ٩٨ وما بعدها ط دار الكتب الإسلامي بيروت بدون تاريخ .
[5] – أصول العقيدة – السيد مهدى الصدر حـــ٢ صـــ٧٧ وما بعدها ط المكتبة العصرية بيروت .
[6] – غاية المرام – الشيخ الآمدى صـــ٣٢٩ وما بعدها .
[7] – العقيدة النظاميه للجوينى صـــ٦٨ .

ويقول فى الإرشاد : فإن قيل هل فى المقدور نصب على صدق النبى غير المعجزة ؟ قلنا ذلك غير ممكن فإن ما يقدر دليلا على الصدق لا يخلو : إما أن يكون معتادا وإما ان يكون خارقا للعادة فإن كان معتادا يستوى فيه البر والفاجر فيستحيل كونه دليلا وإن كان خارقا للعادة يستحيل كونه دليلا دون أن تتعلق به دعوى النبى إذ كان خارق للعادة يجوز تقدير وجوده أبتداء من الله تعالى فإذا لم يكن بد من تعلقه بالدعوى فهو المعجزة بعينها([1]) .

هذا هو ما ذهب إليه إمام الحرمين ، وقد أشار الإمام التفتازانى إلى قوله هذا فقال لا خفاء فى ثبوت النبوة بخلق العلم الضرورى كما قلت من قبل كعلم الصديق رضى الله عنه ، وبخبر من ثبتت عصمته عن الكذب كنصوص التوراة والإنجيل فى نبوة سيدنا محمد وكإخبار موسى عليه السلام بنبوة هارون .

فما ذكر إمام الحرمين من أنه لا يمكن نصب دليل على النبوة سوى المعجزة لأن ما يقدر دليلا إن لم يكن خارقا للعادة أو كان خارقا ولم يكن مقرونا بالدعوى لم يصلح دليلا للاتفاق على جواز وقوع الخوارق من الله ابتداء، وأما ما سيأتى من الاستدلال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبما شاع من أخلاقه وأحواله فعائدا إلى المعجزة ([2])

ونفهم من كلام الإمام الجوينى أنه لا ينكر الطرق الأخرى التى أشار إليها الإمام سعد الدين التفتازانى من خلق العلم وخبر من ثبتت عصمته عن الكذب وأيضا لا ينكر الطرق التى أشار إليها الإمام الطحاوى من قرائن أحوال الأنبياء من حيث نشأتهم وأخلاقهم وصفاتهم

---

[1]- الإرشاد إلى قواطع الادلة فى أصول الإعتقاد - الجوينى صـ٢٧٨ ط مؤسسة الكتب الثقافية بيروت .

[2] - شرح المقاصد للتفتازانى ج ٢ صـ١٣٢ ، ١٣٣ بتصرف .

وطرق التواتر التى أثبتت إرسال الرسل وصدق دعوتهم عنده ، كل هذه الطرق لا ينكرها الإمام الجوينى ولكنه رحمه الله يرد هذه الطرق إلى المعجزة لأنه يرى أن المعجزة هى المنهج الوحيد الذى يصلح دليلا على إثبات النبوة مطلقا وما عداها من طرق فهو داخل تحتها.

ويبدو أن الخلاف بين إمام الحرمين وبين من خالفوه خلاف لفظى لا حقيقى إذ يمكن حمل كلام إمام الحرمين على ما يصلح دليلا للنبوة على الإطلاق وحجة على المنكرين بالنسبة لكل نبى لا نبى قبله ولا كتاب يبشر به ، أما كلام المخالفين فيمكن حمله على ما يصلح دليلا لنبى سبقه أنبياء وكتب من الممكن أن تبشر به .

هذا ومن الممكن أن يجمع بين الرأيين بطريق أفضل فنقول : إن المعجزة وحدها هى طريق إثبات النبوة على المعاند والمكابر ومن فى قلبه مرض بينما الطرق الأخرى وسائل لإثبات النبوة لهؤلاء العقلاء المنصفين الذين لم تنحرف فطرهم من أمثال أبى بكر الصديق وخديجة رضى الله عنهما وغيرهما [1]

وبعد هذا التوفيق من الدكتور / سعد الدين صالح نقول إن جمهور المتكلمين متفقون إذا على أن خوارق العادات أو المعجزات هى المنهج الأساسى فى استدلالهم على إثبات النبوة ولم يخرج عن هذا المنهج إلا جماعة قليلة كالكرامية و الأباضية فإنهم قالوا بعدم الحاجة إلى برهان أو معجزة يدل على صدق نبى من الأنبياء ، وزعموا أن من سمع قول الرسول أو سمع الخبر عن ظهوره وعن دعوته لزمنه الإقرار والتصديق به سواء علم برهانه أو حجته أو لم يعلمها ولا شك أن فساد ما ذهب إليه الكرامية والأباضية واضح لأنه لا يتفق مع رأى

١- المعجزة والإعجاز د/ سعد الدن صالح صـ ٢٣ ط دار الطباعة المحمدية - درب الأتراك الأزهر .

أهل السنة من جهة ومن جهة أخرى لا يتفق مع الواقع إذ لولا البرهان والدليل لما تميز الصادق من الكاذب ولا النبى من المتنبئ فصدق نبى من الأنبياء فى دعواه لابد وأن يكون مقترنا بدليل أو برهان يتميز به عن غيره . ويظهر لنا بعد ذلك أن جمهور المتكلمين وإن اعتمدوا على منهج الخوارق والمعجزات باعتبار أنها أتم الطرق ، إلا أنهم لا ينكرون الطرق الأخرى كما وضحنا ولكنهم لم يجعلوا هذه الطرق وحدها تفيد تصديق الأنبياء فهذه الطرق ما هى إلا مقويات ومذكرات لصدق الأنبياء فهى مع المعجزة مؤكدة ومقويه لها وهذا هو الواضح من كلام الأشاعرة والمعجزات من أتم الطرق فى الاستدلال كما قال ابن تيمية رحمه الله .

فلاسفة الإسلام:

أما عن فلاسفة الإسلام ، فإنهم لم يختلفوا مع المتكلمين فى أن المعجزة هى المنهج الأساسى فى الاستدلال على صدق الأنبياء وفى هذا الشأن يقول ابن سينا فى إشاراته ، وجب أن يكون بين الناس معاملة وعدل يحفظه شرع يفرضه شارع متميز باستحقاق الطاعة لاختصاصه بآيات تدل على أنه من عند ربه ([1])

ومع اعتراف ابن سينا بهذا المنهج الاستدلالى فإنه لا ينكر المناهج الأخرى التى ذكرها علماء الكلام وأيضا ابن رشد لم يرفض الطرق أو المناهج الأخرى التى استدل بها المتكلمون على إثبات النبوة لكنه لا يجعلها أساسا فى الاستدلال على إثبات النبوة فهى فى رأيه داخلة تحت المعجزة ، وعلامة خارجية تؤكد أن صاحب المعجزة نبى

١-الإشارات والتنبيهات لابن سيناج ٣ ص ٨٠٣ ط دارالمعارف ط ٢ س١٩٧١م .

مرسل ، فهى طريقة مقنعة لائقة بالعامة لكنها ليست تدل دلالة قطعية إذا تفردت . (١)

فإثبات النبوة عند ابن رشد للعامة والخاصة هى الشرائع التى جاء بها الأنبياء المشتملة على العقائد والأحكام العلمية والفضائل السلوكية فهى من الله تعالى ويرى ابن رشد أن رسول الله محمدا لم يدع النبوة متحديا المعارضين المكذبين لرسالته بأمور خارقة للطبيعة بل الذى تحد به الناس وجعله دليلا على صدقه فيما إدعى من رسالته هو القرآن الكريم وهو وحده المعبر عن التشريعات التى جاء بها بوحى من الله فمما يدل على صدق القرآن عند ابن رشد أصلان .

الأول : أنه ذكر طائفة من الناس اصطفاهم الله لرسالته وهو أمر بين معروف بالتواتر .

وهذا الأصل موجود فى القرآن الكريم قال الله تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زابورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) (٢)

الثانى - وجود الشرائع والعقائد التى بينها الرسول ويضرب ابن رشد مثلا يوضح فيه ذلك فيقول / الطبيب هو الذى يعرف الناس بفعله وهو الإبراء أنه طبيب ، فإن وجد منه الإبراء فهو طبيب كذلك يكون فعل الأنبياء عليهم السلام هو وضع الشرائع وأن من وجد منه هذا الفعل فهو نبى .

---

١ - الكشف عن مناهج الأدلة صـ١٣٣ لابن رشد مطبعة صبيح بمصر .
٢ - سورة النساء رقم ١٦٣ ، ١٦٤ .

وهذا الأصل أيضا موجود فى القرآن الكريم قال الله تعالى (يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا [١]) [٢]

والواضح من كلام ابن رشد أنه لا ينكر أن هناك رسلا من الله لخلقه وأن الأمور المعجزة لا تكون إلا منهم ، فتكون هذه الأمور المعجزة دليلا على صدقهم ، لكنه يأتى بعد ذلك فيقول بأن هناك نوعين من المعجزة – المعجز المادى وهو الذى لا يناسب التى بها سمى النبى نبيا ، والمعجز المعنوى وهو المناسب لهذه الصفة، والمعجزة من النوع الأول هو طريق الجمهوروالثانى مشترك بين العلماء والجمهور [٣]

هذا .... ومما يؤخذ على فلاسفة الإسلام قولهم بأن المعجزة الحسية ليست أساسا فى إثبات النبوة وإنما هى مقوية فقط ويؤخذ عليهم أيضا قولهم بأن الأساس فى التصديق هو معرفة الرسل بوضعهم للشرائع التى هى بوحى من الله تعالى ، فهذا الكلام غير صحيح بل ومناقض للواقع ، فالقرآن الكريم قد أعلمنا أن إثبات نبوة موسى وعيسى عليهما السلام كانت معتمدة على المعجزات الحسية كانقلاب العصا حية وانفلاق البحر وإحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص لعيسى هذا بجانب التشريعات التى جاء بها كل منهما عليهما السلام .

وخلاصة القول هو أن نقول ، إن جمهور المتكلمين وفلاسفة الإسلام متفقون على أن المعجزة هى المنهج الأساسى فى الاستدلال على صدق الأنبياء حسية كانت أو معنوية ، وإن كان الفلاسفة وبالأخص ابن رشد قد خص المعجزة الحسية لعامة الناس والمعنوية

١- سورة النساء رقم ١٧٤ .

٢ – النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد د / عاطف العراقى صـــ٣٥٢ – ٣٥٦ ط دار المعارف .

٣- راجع كتاب الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد صــ١٢٩ – ١٣٠ وراجع أيضا النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد د / عاطف العراقى صــ ٣٥٩ .

لخاصتهم بخلاف المتكلمين إلا أنهم مع قولهم هذا فهم لا ينكرون الطرق الأخرى فى إثبات النبوة .

المنهج الثانى فى الاستدلال على النبوة

هذا المنهج يعتمد فى الاستدلال على معرفة أحوال الأنبياء وصفاتهم وما يمتازون به دون غيرهم من الناس . وهذا المنهج فى الاستدلال قد انتهجه كثير من المتكلمين فى الاستدلال على النبوة وذلك بالإضافة إلى الأول وهو خرق العادات أو المعجزات .

فنجد أن الإمام الرازى قد استدل بهذا المنهج على إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن استدلاله على نبوة سيدنا محمد يكون استدلال استدلاله على إثبات نبوة من قبله .

يقول الإمام الرازى فى معالمه ، وأما فى هذا الطريق فإنا نبين أن كل ما أتى به من الأقوال والأفعال فهو أقوال وأفعال الأنبياء ، فوجب أن يكون هو نبيا صادقا حقا عند الله تعالى .

ثم يقول هذا الدليل فيقول : الإنسان إما أن يكون ناقصا وهو أدنى الدرجات وهم العوام وإما أن يكون كاملا فى ذاته ويقدر على تكميل غيره وهم الأولياء وهم فى الدرجة المتوسطة وإما أن يكون كاملا فى ذاته ويقدر على تكميل غيره وهم الأنبياء وهم فى الدرجة العليا ثم إن الكمال والتكميل إما أن يعتبر فى القوة النظرية أو فى القوة العلمية ورئيس الكمالات المعتبرة فى معرفة الله عز وجل ، وكل من كانت درجاته فى تكميل الغير أعلى كانت درجات نبوته أكمل إذا

عرفت هذا فنقول أنه عند ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم كان العالم مملوءا بالكفر والفسق ([١])

أما اليهود : فكانوا فى المذاهب الباطلة فى التشبيه وفى الافتراء على الأنبياء وفى تحريف التوراة قد بلغوا الغاية .

وأما النصارى : فقد كانوا فى القول بالتثليث والأب والابن والطول والاتحاد قد بلغوا الغاية .

وأما المجوس : فقد كانوا فى القول بإثبات إلهين ووقوع المحاربة بينهما وفى تحليل نكاح الأمهات قد بلغوا الغاية .

وأما العرب : فقد كانوا فى عبادة الأصنام وفى النهب والغارة قد بلغوا الغاية ، وكانت الدنيا مملوءة من هذه الأباطيل .

فلما بعث الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم وقام يدعو الخلق إلى الدين الحق انقلبت الدنيا من الباطل إلى الحق ومن الكذب إلى الصدق ومن الظلمة إلى النور وبطلت هذه الكفريات وزالت هذه الجهالات فى أكثر بلاد العالم وفى وسط المعمورة ، وانطلقت الألسن بتوحيد الله تعالى واستنارت القلوب بمعرفة الله تعالى ورجع الخلق من حب الدنيا إلى حب المولى بقدر الإمكان وإذا كان لا معنى للنبوة ، إلا تكميل الناقصين فى القوة النظرية وفى القوة العملية .

ورأينا أن ما حصل من الأثر بسبب مقدم محمد صلى الله عليه وسلم أكمل وأكثر مما ظهر بسبب مقدم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام علمنا أنه كان سيد الأنبياء وقدوة الأصفياء .

---

١ –معالم أصول الدين– الرازى صـــ٩٣ تقديم طه عبد الرءوف.ط مكتبة الكليات الازهرية .

يقول الإمام الرازى ، وهذه الطريقة عندى أفضل واكمل من الطريقة الأولى لأن هذا يجرى مجرى برهان العلم لأننا بحثنا عن معنى النبوة فعلمنا أن معناها أن شخص بلغ فى الكمال فى القوة النظرية وفى القوة العملية إلى حيث يقدر على معالجة الناقص فى هاتين القوتين ، وعلمنا أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أكمل البشر فى المعنى فوجب كونه أفضل الأنبياء (١)

ونجد أيضا الإمام الغزالى يرى أن إثبات النبوة لا يكون بالمعجزات فقط ، وإنما هناك عدة طرق تؤدى إلى اليقين التام ومن هذه الطرق معرفة أحوال الأنبياء إما بالمشاهدة أو التواتر فإن ذلك يؤدى إلى المعرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير لذلك فإثبات النبوة لا يكون من قلب العصا ثعبان وشق القمر فإن ذلك إذا نظرت إليه وحده ولم تنضم إليه القرائن الكثيرة الخارجة عن الحصر ربما ظننت أنه سحر وتخيل وأنه من الله إضلال فإنه يضل من يشاء ويهدى من يشاء .

ثم أخذ الإمام الغزالى يضرب مثالا يوضح فيه ما ذهب إليه وذلك من خلال معرفتنا بالفقهاء والأطباء فإننا نعرفهم ونستدل عليهم أنهم فقهاء وأطباء بمشاهدة أحوالهم وسماع أقوالهم وأعمالهم و اتفاقهم لفن كل منهم ، وإذا كان هذا واضحا فمن باب أولى وظيفة النبوة فلابد أن يتصف الأنبياء بأفعال وصفات ومميزات لأنها أعظم الأعمال وأشرفها (٢)

ونجد أيضا ابن خلدون وهو يوضح الطريقة الأولى والثانية فى مقدمته إذ يقول : وعلامة هذا الصنف من البشر -أى الأنبياء- أن توجد

---

١ - نفس المرجع صـــ ٩٣ ، ٩٤ .
٢ - المنقذ من الضلال - الغزالى صـــ ١٣٢ ، ١٣٣ ط دار الكتب اللبنانى بيروت ط ١ س ١٩٧٩ م .

لهم فى حال الوحى غيبة عن الحاضرين معهم مع غطيط كأنها إغشاء أو إغماء فى رأى العين وليست منها فى شئ وإنما فى الحقيقة استغراق فى لقاء الملك الروحانى بإدراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية ثم يتنزل إلى المدارك البشرية إما بسماع دوى من الكلام فيفهمه أو يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله ثم تتجلى عنه تلك الحال وقد وعى ما ألقى إليه .

ومن علاماتهم أيضا : أنه يوجد لهم قبل الوحى خلق الخير والذكاء والبعد عن مجانية المذمومات والرجس أجمع هذا هو معنى العصمة وكأنه مفطور على التنزه عن المذمومات والمنافرة لها وكأنها منافية لجبلته وفى الصحيح أنه حمل الحجارة وهو غلام مع عمه العباس لبناء الكعبة فجعلها فى إزاره فانكشف فسقط مغشيا عليه حتى استتر بإزاره .

ومن علاماتهم أيضا : دعاؤهم إلى الدين والعبادة من الصلاة والصدق والعفاف وقد استدلت خديجة على صدقه صلى الله عليه وسلم بذلك كما قلنا وأيضا استدل أبو بكر ولم يحتاجا فى أمره إلى دليل خارج عن حاله وخلقه . ومن علاماتهم أيضا أن يكونوا ذوى حسب فى قومهم وفى الصحيح ما بعث الله نبيا إلا فى منعة من قومه وفى رواية فى ثروة من قومه .

ومن علاماتهم وقوع الخوارق لهم شاهدا بصدقهم وهى أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة وليست من جنس مقدور وإنما تقع فى غير محل قدرتهم (١)

هذا بالإضافة إلى ما ذكره الإمام ابن أبى العز الحنفى فى كتابه شرح العقيدة الطحاوية وذكرناه نحن فى بداية هذا الفصل (٢) وهو

١- مقدمة ابن خلدون ص ٩١ - ٩٣ دار القلم - بيروت .
٢- راجع صـــ٢٢ من هذا الفصل .

متمثل فى الحوار الذى دار بين أبى سفيان وبين هرقل ملك الروم حتى شهد فى النهاية بصدق رسولنا صلى الله عليه وسلم ، حين عبر عن رأيه فقال بعد أن سأل أبو سفيان عن الذين يدخلون فى دين محمد هل يرتد عن دينه سخطا له بعد أن يدخل فيه ؟ فأجابه أبو سفيان لا فقال هرقل وكذلك الإيمان ، إذا خالط بشاشة القلوب لا يسخطه أحد ، وهذا من أعظم علامات الصدق والحق فإن الكذب والباطل لابد أن ينكشف فى آخر الأمر فيرجع عنه أصحابه ، ويمتنع عنه من لم يدخل فيه والكذب لا يروج إلا قليلا ثم ينكشف ([1])

وانتهى من هذا الاستدلال فأقول: إذا كان المصلحون الاجتماعيون لابد وأن يكونوا على درجة عالية من الالتزام بالمبادئ العالية والأخلاق السامية نظرا لأن الناس يلتفون حولهم فمن باب أولى يكون الأنبياء فهم سفراء الله إلى خلقه فلابد وأن يكونوا أكمل مما سبق ولا غرابة فى ذلك فهم من إعداد الله أعدهم الله إعدادا خاصا تحت رعايته وعنايته ولقرآن الكريم يوضح ذلك فى صفحاته إذ يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائك فأغنى) ([2]) كما قال لموسى عليه السلام من قبل (وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى) ([3])

وهكذا كان جميع الأنبياء والمرسلين فقد نشأ كل منهم فى معية الله عز وجل قبل أن يبعث وبعد أن بعث ، فكانت أقوالهم وأفعالهم وصفاتهم تدل على أن الله تعالى قد أعدهم إعداد خاصا يتميز به كل منهم عن سائر البشر ...

١- راجع شرح العقيدة الطحاوية للعلاقة ابن العز الحنفى ص ١٥٣ - ١٥٥ .
٢ - سورة الضحى ٦ ، ٧ ، ٨ .
٣ - سورة طه الآية ٣٩ .

حتى أخذ علماء الكلام هذا الإعداد المتميز وجعلوه من الأدلة القاطعة الدالة على صدق النبى محمد صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة وجميع الأنبياء بصفة عامة .

فلاسفة الإسلام ومواقفهم من هذا الوجه

إن فلاسفة الإسلام يعترفون بأن أفعال الأنبياء و أوصافهم وأحوالهم وأخلاقهم يعد نوعا من الأنواع الدالة على صدقهم واصطفائهم .

وهذا هو ما نلحظه من الفارابى والذى اشترط لمدينته الفاضلة رئيسا تجتمع فيه الصفات الفطرية السليمة حيث فيه سلامة العقل وبلاغه التعبير والعلم والأخلاق التى تميزه عن بقية البشر .

يقول صاحب كتاب " فصول من آراء المدينة " : بعد أن ذكر الفارابى كل هذه الصفات الفطرية السليمة قال : والمعروف أن الذى يصلح أن يكون رئيسا لهذه المدينة الفاضلة هو النبى أو الفيلسوف ([1])

وابن رشد أيضا لا ينكر دلالة الأفعال على صدق النبى ولكنها مهما بلغت فهى لا تصل عنده إلى دلالة القرآن وهو المعجز الجوانى على حد تعبيره .

ومن أفعال الأنبياء المعجزات الحسية مثلا فهو لا ينكرها ولكنها ليست كدلالة القرآن ، يقول ابن رشد : فدلالة القرآن على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ليست مثل دلالى العصا حية على نبوة موسى ولا إحياء الموتى على نبوة عيسى وإبراء الأكمة والأبرص ، فإن تلك وإن كانت أفعالا لا تظهر إلا على أيدى الأنبياء وهى مقنعة

---

[1] - فصول من أراء المدينة الفاضلة د/ على عبد الواحد وافى صـــ ٦٤ - مكتبة الحسين التجارية سنه ١٩٤٨م .

عند الجمهور فليست دلالة قطعية إذا انفردت ، إذ ليست فعلا من أفعال الصفة التى بها سمى النبى نبيا وأما القرآن فدلالته على هذه الصفة مثل دلالة الإبراء على الطب ([1])

هذا ويؤخذ على الفارابى بل وعلى الفلاسفة عامة تسويتهم بين النبى والفيلسوف مع أن الفرق شاسع بينهما ، وذلك لأن النبى هو إنسان اختاره الله تعالى واصطفاه وأرسله إلى قومه فلا يشترط فى إرساله شرط من الأعراض والأحوال المكتسبة بالرياضيات والمجاهدات كما يزعم الحكماء ، بل إن الله سبحانه وتعالى يختص برحمته من يشاء من عباده ، فالنبوة رحمة وموهبة متعلقة بمشيئة الله فقط والله أعلم حيث يجعل رسالته .

أما الفيلسوف : فهو الذى يحتاج إلى تلك الأحوال المكتسبة بالرياضيات والمجاهدات و الانقطاعات ، وبذلك يتضح لنا خطأ التسوية بين النبى والفيلسوف عند الفلاسفة .

المنكرون للنبوة :

لقد انقسم طوائف المنكرين للنبوة إلى ثلاثة أقسام :

الأول : ملحدة دهرية يقولون بقدم العالم وتدبير الطبائع فهم بإنكار المرسل أجدر أن يقولوا بإنكار الرسل .

الثانى : براهمة موحدة ، يقولون بحدوث العالم ويجحدون بعثة الرسل ويبطلون النبوات ومنهم من قال بنبوة آدم وإبراهيم .

الثالث : فلاسفة : لا يتظاهرون بإبطال النبوات فى الظاهر وهم مبطلوها فى تحقيق قولهم لأنهم يقولون إن العلوم الربانية بعد كمال

---

١ – العقلية فى فلسفة ابن رشد د / عاطف العراقى ص ٣٥٨ .

العلوم الرياضية من الفلسفة والهندسة ليضعها من كملت رياضته إذا كان عليها مطبوعًا ([1]) .

ولكن المتفق عليه فى إنكار النبوة هم الملاحدة والبراهمة ومن وافقهم أما الفلاسفة فإن كان المراد بهم الإلهيين القدماء فإنهم لم يتكلموا فى هذه المسألة لا بالنفى ولا بالإثبات .

أما فلاسفة الإسلام فإنهم مصدقون بضرورة النبوة والرسالة الا أنهم خالفوا الكلام فى طريق إثباتها كما أوضحنا من قبل .

هذا مما يجعلنى أخالف ما قاله الإمام الماوردى فى تقسيمه السابق لطوائف المنكرين للنبوة ، حيث أنه قد وضع الفلاسفة من بين الطوائف مع أنهم معترفون بالنبوة والرسالة .

ولذلك نقول المنكرون للنبوة طائفتان ، دهرية ، وبراهمة .

الطائفة الأولى : **ينكرون الغيبيات والروحانيات** :

وهم الدهرية والملاحدة ، فهذه الطائفة ينكرون الغيبيات والروحانيات ، فالوجود عندهم ما هو محسوس فقط يقول الإمام الغزالى : الدهريون هم طائفة من الأقدم جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه بلا صانع ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك يكون أبدا وهؤلاء هم الزنادقة ([2])

ويقول الشهرستانى عنهم : اعلم أن العرب أصناف شتى فمنهم معطلة ومنهم محصلة ، فالمعطلة وهم أصناف فصنف منهم أنكروا

١- أعلام النبوة - للإمام أبو الحسن الماوى صـ١٩ - ٢٠ ط دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ سنه ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ .

٢- المنقذ من الضلال-للإمام الغزالى تحقيق د/عبد الحليم محمود ص٩٤ وما بعدها.

الخالق والبعث والإعادة وقالوا بالطبع المحيى والدهر المغنى وهم الذين أخبر عنهم القرآن قائلا " وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا إلا الدهر ([1])" ([2])

وإذا كان هؤلاء لا يعترفون أصلا بالغيبيات ولا بوجود الخالق المرسل فكان من باب أولى إنكارهم وجحودهم للنبوة والرسالة . لذلك لا نشتغل بالرد عليهم لخشية الإطالة أولا ولأن هناك من هو أولى منا بالرد عليهم ثانيا ولكن يكفينا الإشارة إلى أنهم من منكرى الغيبيات والروحانيات وبإنكارهم ذلك يكون إنكارهم للنبوة .

الطائفة الثانية : المنكرون للنبوات والرسالات السماوية

إن أصحاب هذه الطائفة يؤمنون بالغيبيات والروحانيات وبوجود الخالق لكنهم يجحدون النبوات ، وينكرون الرسالات السماوية، والمتتبع للشبه التى تمسكوا بها يجد أنها لا تخرج عن قسمين :

الأول : ما يرجع إلى الأنبياء والوحى .

والثانى : ما يرجع إلى لوازم النبوة والمعجزة .

والحديث الآن عن الشبه التى ترجع إلى القسم الأول .

١- ما يرجع إلى النبوة .　　　　٢- ما يرجع إلى الوحى .

---

[1] - سورة الجاثية الآية (٢٤) .
[2] - الملل والنحل للامام الشهرستان صـــ ٩٧ ح ٣ .

أولا : الشبه الموجهة إلى النبوة :

الشبهة الأولى :

قالوا إن العقل كاف ويغنى عن البعثة وعن الرسل وإذا كان هناك ما يغنى عن الرسل فيكون إرسال الرسول سفها وعبثا وهما مستحيلان على الله تعالى .

يقول الإمام الشهرستانى معبرا عن رأيهم : إن الذى يأتى به الرسول لم يخل من أحد أمرين إما أن يكون معقولا وإما أن لا يكون معقولا فإن كان فقد كفانا العقل التام بإدراكه والوصول إليه فأى حاجة لنا إلى الرسول وإن لم يكن معقولا فلا يكون مقبولا إذ قبول ما ليس بمعقول خروج عن حد الإنسانية ودخول فى حرم البهيمية (١)

ونلاحظ أن الشبهة قائمة على تحسين العقل وتقبيحه ، فالعقل يدرك الحسن والقبح فى الأشياء فما أدرك فيه حسنا ولا قبحا ترك إلا إذا كان هناك ضرورة فعل للضرورة .

الرد على هذه الشبهة

نقول إنه لا خلاف بين المتكلمين والفلاسفة وأهل السنة وغيرهم من المفكرين فى أن العقل البشرى غير كاف لإرشاد الناس فى أمور معاشهم و معادهم ، فقد تعاونوا جميعا على الرد على أصحاب هذه الشبهة وأثبتوا أن العقل وإن كان من أعظم نعم الله على البشر وأنه أعظم وسيلة لتحصيل المعرفة إلا أن للعقل مجالا وحدودا لا يمكن أن يتجاوزها .

---

١ – الملل والنحل – الشهرستانى ح ٣ ص٩٦ وراجع الفصل لابن حزم ح ١ ص ٥٥ والإرشاد – للجوينى صـ ٣٠٣ .

لذلك نقول : إن العقول البشرية قاصرة عن إدراك جميع الأمور فيكون البشر محتاجين إلى النبوة لبيان ما لا يستقل به العقل البشرى .

يقول صاحب المقاصد : إن ما يوافق العقل قد يستقل بمعرفته فيعاضده النبى ويؤكده بمنزلة الأدلة العقلية على مدلول واحد وقد لا يستقل فيدله عليه ويرشده وما يخالف العقل قد لا يكون مع الجزم فيدفعه النبى أو يرفع عنه الاحتمال ، وما لا يدرك حسنه ولا قبحه قد يكون حسنا يجب فعله أو قبيحا يجب تركه . هذا مع أن العقول متفاوتة ، فالتفويض إليها مظنة التنازع و التفائل ومفض إلى اختلال النظام وأن فوائد البعثة لا تنحصر فى بيان حسن الأشياء وقبحها على ما تقدم ( )

الشبهة الثانية : بشرية الرسل :

من الشبه الموجهة إلى النبوة شبهة بشرية الرسل . لقد صور لنا الإمام الشهرستانى شبه البراهمة هذه فقال :

إن أكبر الكبائر فى الرسالة اتباع رجل مثلك فى الصورة والنفس والعقل يأكل مما تأكل ويشرب مما تشرب حتى تكون بالنسبة إليه كجماد يتصرف فيك رفعا ووضعا أو كعبد يتقدم إليك أمرا ونهيا فكيف نتبع بشر مثلنا يفعلون ما نفعله فهم لا يزيدون علينا فى شئ" [٢]

الرد على هذه الشبهة

إن البشرية لا تنافى الرسالة وأن التماثل فى البشرية والإنسانية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة لأن هذا المنصب منصب يمن الله به على من يشاء من عباده [٣]

---

١ – شرح المقاصد – للإمام سعد الدين التفتازانى ح ٥ صـ٩ تحقيق د / عبد الرحمن عميره ، ط عالم الكتب – بيروت .
٢– نهاية الأقدام للإمام الشهرستانى صـ ٤٢٨ .
٣– نفس المرجع صـ ٤٢١ .

قال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخير) (1) فجعل الله الرسل من جملة البشر إلى الجنس البشرى أولى فى الإفضاء إلى المقصود وهو أن الجنسية مظنة الألفة و الموانسة ولو أنزل الله الأنبياء من جنس آخر كالملائكة كما طلبوا لوقعوا فى مشقة ولبس .

وذلك لأن البشر لم يتحملوا لقاء الملائكة من هول ما يشهدون ، وذلك أيضا لأننا نعرف أن الملائكة .

الشبهة الثالثة : طلب الاستمهال والنظر

من الشبه الموجهة إلى النبوة طلب الاستمهال والنظر وذلك لأن التصديق بالنبوة أو الرسالة يتوقف على العلم بالمرسل وما يتعلق به من صفات ، فهذا العلم ليس بديهيا لأنه يتطلب وقتا طويلا ومشقة فى البحث والنظر فيجب الإمهال من الأنبياء ، ولكن الاستمهال فيه يفضى إلى إفحام الأنبياء ولأنه متى طلب من أى نبى من الأنبياء الإمهال هل أجاب النبى أم لا ؟ فإن أجاب فهذا يفوت دعواه وقيامه بوظيفته ، مع أن طلب الاستمهال لا يتقرر بوقت معين بل قد يختلف باختلاف الأشخاص وقوة إدراكهم وفهمهم ، وقد يعود إلى النبى بعد الإمهال ولم يتضح عنده صدق النبى فلا يجوز إتباعه ، وإن لم يعطه الإمهال فقد ظلمه وكلفه بما لا يطيقه ولا يعرفه ، فكل منهما وهو الإمهال وعدم الإمهال يفضى إلى إفحام الرسل (2) .

١- سورة القصص الآية ٦٨ .

٢- نهاية الأقدام للشهرستانى ص٢٥ بتصرف بسيط وراجع هذه الشبهة فى غاية المرام للأموى ص ٣٢٣ والاقتصاد فى الاعتقاد - للغزالى ـ٦٣ والمواقف للأيجى ح ٦ ص١٨٣ .

الرد على الشبهة :

إن الرسل عليهم السلام لا يلزمهم الإمهال وذلك لأن النبى إذا ادعى الرسالة واقترن بدعواه المعجزة الخارقة للعادة وكان المبعوث إليها عاقلا متمكن من النظر فقد ثبت الشرع واستقر وجوب المتابعة سواء نظر أو لم ينظر فلا يجوز للمكلف الاستمهال ولو استمهل لم يجب الإمهال لجريان المادة بإيجاد العلم عقيب النظر الذى هو متمكن منه (١)

فالرسول لا يلزمه الإمهال لأن الرسول جاء لإرشاد الناس فى معرفة المرسل ويبين الدليل على وجوده وصفاته وذلك بالنظر إلى نفس من طلب الإمهال ، والدليل على ذلك أن الرسول بدأن الدعوة بقوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) (٢)

فإذا بين لهم الرسول ذلك قطع عليهم طلب الإمهال لأن الاستمهال إنما بتوجه إذا خلت الدعوة من الحجة الملزمة وأيد صاحب كتاب " النهاية" أحوال الأنبياء عليهم السلام فى دعوتهم بإثبات التوحيد أو المرسل وكذلك إثبات النبوة إلا آدم عليه السلام فلم يكن فى أول زمانه ممن كان مشركا فيدعوه إلى التوحيد ،

ولا يخفى علينا أن الآيات التى من شأنها إثبات ذلك متفرقة فى صفحات القرآن الكريم فهى تشتمل أولا على إثبات التوحيد وثانيا النبوات واقترنت الدلالتان اقترانا لا يمكن للمستمع الاستمهال ولا يلزم

١- المواقف - للأيجى الموقف السادس صـــ ١٨٣ .
٢- سورة البقرة الآية ٢١ .

من ذلك الظلم أو تكليف ما لا يطاق وإنما يلزم ذلك إذا لم يكن المستمع متمكنا من الاستماع والنظر والتدبر (١)

هذا خلافا للمعتزلة فعلى حسب قواعدهم أنه يجب الأمهال لأنه فى مصلحة العباد ولكن لما كان الإمهال يؤدى إلى إفحام الرسل أو تقوية المصلحة كان من الواجب عليهم أن يقولوا كما قالت الأشاعرة بأنه لا يجب الإمهال .

ثانيا : الشبهة الموجهة إلى الوحى :

الشبهة الأولى :

أن البعثة تتوقف على علم المبعوث بأن الباعث هو الله تعالى ولا سبيل إليه (٢) أو بمعنى آخر من أين يعلم الرسول أن الذى قال له أرسلتك هو الله أهو من عند الله فلا سبيل إلى العلم به لأن الملك يستحيل أن يخاطب النبى لأنه لو جاء على صورة بشر لكان جسمانيا ولرأه كل من كان حاضرا ولو جاءه على صورة الملكية لا يستطيع أن يكلم نبيا لأن الروحانيات لا تتكلم بالأصوات ونحوها (٣)

الرد على هذه الشبهة

أن الله ينصب للأنبياء آيات ودلائل كالمعجزات وغيرها يثبت لهم بأن الموحى إليه ملك معصوم من عند الله لا شيطان مضل ، كما يظهر الله على أيدى الأنبياء معجزات تدل على صدقهم (٤)

١ -راجع نهاية الأقدام- الشهرستان ص٤٣٠ - ٤٣٢ بتصرف والاقتصاد فى الاعتقاد - الغزالى ص ٩٥ .
٢ - شرح المقاصد - التفتازانى ح ٥ ص ٨ ط عالم الكتب - بيروت .
٣ - نهاية الأقدام ص٤١٩ والمواقف ح ٦ ص ١٨٣ والتمهيد- للباقلانى ص ١٠٠
٤ - راجع المواقف ح ٦ ص ١٨٤ .

وهذا هو ما وضحه الإمام الرازى ، تحت تفسير قول الله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء ...) ([١])

فقال : والحق أنه لا يمكنه القطع بذلك إلا بناء على معجزة تدل على أن ذلك المبلغ معصوم لا شيطان خبيث وعلى هذا التقدير فالوحى من الله لا يتم إلا بثلاث مراتب فى ظهور المعجزات .

الأولى : أن الملك إذا سمع ذلك الكلام من الله فلابد له من معجزة تدل على أن ذلك كلام الله.

الثانية : أن ذلك الملك إذا وصل إلى الرسول لابد له من معجزة .

الثالثة : أن ذلك الرسول إذا أوصله إلى الأمة فلابد له من معجزة أيضا ([٢])

الشبهة الثانية :

من بين الشبه الموجهة إلى الوحى قولهم : إن ما جاء به الرسل من الشرائع لم يكن من عند الله ولا من عند نفسهم بل أخذوها من غيرهم بطرق مختلفة مثال ذلك ما جاء فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول الله عز وجل حكاية عن المشركين (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون) ([٣])

فالقرآن لم يكن محمد قد تلقاه من ربه بل اكتسبه وتعلمه من غيره ممن أتصل بهم الذين كانوا على شئ من العلم والمعرفة ... حتى قيل إنه صلى الله عليه وسلم تعلم من سلمان الفارسى ومنهم من قال إنه

١- سورة الشورى، الآية ٥١

٢- مفاتيح الغيب م ١٤ ج ٢٧ ص ١٨٩ .

٣- سورة الفرقان الآية (٤)

اكتسب العلوم والمعارف من أحبار اليهود ورهبان النصارى الذين اتصلوا به فى بلاد الشام كبحيرى الراهب ونحو ذلك من الأقوال التى تقال أن محمد صلى الله عليه وسلم يكتسب معرفة النبوة والوحى وغيرهم من الإنسان (١)

وكذا اتهمه القوم بأنه تعلم هذه الكلمات من غيره ثم إنه يظهرها من نفسه ويزعم أنه إنما عرفها بالوحى من الله تعالى وهو كاذب فيه (٢)

الرد على هذه الشبهة

إن قولهم بأن : سلمان الفارسى أفاد النبى صلى الله عليه وسلم نقول : إن سلمان لم يكن عالما بشيء خصوصا ما ينزل من القرآن الكريم لأن سلمان كان فارسيا مجوسيا أولا ، ثم تنصر ثم أسلم فكيف يحيط بأحكام الإسلام وقد أثبت التاريخ أنه لم ير النبى إلا بعد الهجرة ثم أسلم (٣)

أما قولهم بأن النبى محمد صلى الله عليه وسلم قد اكتسب العلوم والمعارف من أحبار اليهود ورهبان النصارى . ففى الواقع أن هذا غشم وجهل للواقع والتاريخ وقد أتفق المؤرخون الذين ذكروا هذه القصة على أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يلتق ببحيرى إلا مرة واحدة حيث كان عمه أبو طالب قد صحبه معه فى تجارة إلى بلاد الشام وتصادف أن قابل أبا طالب ومن معه من التجار وكان معهم محمد صلى الله عليه وسلم فلما رآه بحيرى قال لأبى طالب هذا ليس ابنك قال هو ابن أخى فقال بحيرى لأبى طالب سيكون لابن أخيك هذا

---

١ – الوحى المحمدى – الأستاذ رشيد رضا ص ٨٣ – ٨٤ ط النهضة المصرية ط ٦ سنه ١٣٧٥ .
٢ – مفاتيح الغيب م ١٠ ح ٢٠ ص ١١٧ .
٣ – الوحى المحمدى ص ٨٦ .

شأن عظيم أحذر عليه من اليهود هذه هى المرة الوحيدة التى رأى فيها رسول الله بحيرى وكان سن الرسول صلى الله عليه وسلم حينئذ على اختلاف أقوال المؤرخين لم تتجاوز الثالث عشرة سنه ولم يلتق به بعد ذلك من هذا لا يعقل أن النبى صلى الله عليه وسلم تعلم منه ولم يكن الوقت يسمح بأن يتعلم الرسول صلى الله عليه وسلم منه شيئا .

هذا وقد طعن بعض الباحثين فى صحة قصة بحيرى ولقائه مع تجار العرب الذين كان معهم محمد صلى الله عليه وسلم مع أن الروايات الخاصة بحيرى ضعيفة الإسناد إلا رواية الترمذى وليس فيها اسم بحيرى وفيها غلط فى المتن وليس فى شئ من تلك الروايات أنه صلى الله عليه وسلم سمع من بحيرى شيئا من عقيدته أو دينه ([1])

القسم الثانى من الشبهات

أما القسم الثانى من الشبهات فهى موجهة إلى لوازم النبوة والمعجزة .

أولا : الشبه الموجهة إلى لوازم النبوة

الشبهة الأولى :

هذه الشبهة تتعلق بالتكليف لأن التكليف أمر لازم و ضرورى لبعثة الأنبياء بل لا نجد رسالة من الرسالات السماوية تخلو من التكليف حتى قال الإمام التفتازانى رحمه الله ، إنه عمدة فى باب البعثة ([2]) إلا أن المنكرين للنبوة قالوا إن التكليف ممتنع لأنه لا يشتمل على أية فائدة سواء كانت راجعة إلى العبد والمعبود ، أما إلى المعبود فظاهر لكمال

١- راجع فى الوحى المحمدى- الاستاذ رشيد رضا ص ٨٣ وما بعدها والسيرة النبوية لابن كثير ح / ص ١٤٠ ، ط مطبعة عيسى الحلب بدون تاريخ ، والبداية والنهاية لابن كثير ح ٢ ص ٢٢٩ وما بعدها ط مكتبة المعارف - بيروت ط ٤ سنه ١٤٠١ هـ .

٢- التمهيد - للبلاقان ص ١٠٢ وراجع المواقف- الموقف السادس صـ ١٨٤ والمقاصد للإمام التفتازانى ح ٢ ص ١٢٩ .

تنزهه عن الاستفادة والانتفاع ، وأما العبد فلا تظهر فيه فائدة بل فيه تعب وضرر ومشقة تعود على العبد فتكليفه بالجوع والعطش فى الصوم مثلا ضار بالعبد هذا إذا كان العبد قادرا على فعل ما كلف به وذلك على مذهب المعتزلة أما على مذهب الأشاعرة فيترتب على ذلك قهر العبد وجبره لأن العبد لا يخلق أفعاله بنفسه فهو خارج عن قدرته وإذا كان الأمر كذلك كان العبد مجبورا وتكليف المجبور ظلم فلو عوقب على فعل لم يقدر عليه كان ذلك ظلما من الله له والظلم منه تعالى محال فما أدى إليه من التكليف وهو البعثة محال أيضا (١)

الرد على هذه الشبهة

إن قولهم أن التكليف فيه تعب ومشقة ونحوها فهذا القول لا يظهر صوابه لأن الملتزمين به منهم العقلاء والحكماء يؤدون ما كلفوا به من غير حرج ولا تعب انطلاقا من قول الله تعالى (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) (٢)

فالتكليف له منافع كثيرة حسية أو معنوية فى الآجل والعاجل ولعل أوضح دليل على ذلك أن المتلزمين لشريعة الله مع توكلهم على الله واعتمادهم عليه نجد أن حياتهم الدنيوية فى ثبات واستقرار أما الحياة الأخرى فقد وعدهم الله بقوله تعالى (أن المتقين فى جنات وعيون ، ادخلوها بسلام آمنين ، ونزعنا ما فى صدروهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) (٣)

---

١ - المرجع السابق .
٢ - سورة البقرة الاية ٢٨٦ .
٣ - سورة الحجر رقم ٤٥ - ٤٨ .

لذلك يقول العلماء المشقة فيه قليلة جدا بالنسبة إلى منافعه الدنيوية والأخروية ، فالأنبياء كالأطباء والتكليف كالعلاج والأدوية الصالحة التى يترتب عليها الشفاء . (١)

ولعل هناك أحكاما أخرى أستاثر الله بالعلم بها على أن فى التعبد بما لا تعلم حكمته تطويعا للنفس الأبية وملكة قهرها فيما فيه الحكمة وزيادة ابتلاء فى التعرض للثواب والعقاب ، ويعنى أن النفس إذا علمت الحكمة والمصلحة فى حكم انقادت له لأجل تلك المصلحة لا لمجرد امتثال حكم مولاها وسيدها وكان عندها أنها ذات قوة ورسوخ فى العلم فربما صارت بسبب ذلك معجبة بنفسها فإذا تعبدت بما لا تعلم حكمته كان انقيادها امتثالا مجردا ، وانكسرت سورتها وإعجابها الثابت لها فيما علمت حكمته كان انقيادها امتثالا مجردا ، وانكسرت سورتها وإعجابها الثابت لها فيما علمت حكمته ، وأيضا فى التعبد زيادة ابتلاء فى التكليف فإن النفس تأبى عملا تعلم مصلحته وكل ذلك لحكمة ومصلحة حاصلة فى الأحكام التبعدية ومعلومة لنا فلا يلزم خلو تلك الصور عن الحكمة والمصلحة المعتد بها المعلومة (٢)

أما عن قولهم بقهر العبد وجبره فهو منفى بقدرة العبد الذى لها تعليق بالفعل يسمى كسبا وباعتباره جاز التكليف به فلا يكون تكليفا بما لا يطاق بالكلية (٣) .

الشبهة الثانية :

وهذه الشبهة تتعلق بأعمال المكلف حيث قال منكرو النبوة إن أعمال المكلف مشتملة على أفعال وأعمال لا تقبلها العقول من ذلك ما

---

١ - المقاصد - للتفتازانى ح ٢ صـ ١٢٩ .
٢ - المواقف - للأيجى - الموقف السادس ص ١٩٠ .
٣ - المرجع السابق ص ١٨٤ .

قاله الإمام الجوينى –معبرا عن آرائهم قالوا : إن الشرع عندكم مشتمل على أمور مستقبحة عقلا مع علمنا بأن الحكيم لا يأمر بالفواحش ولا يندب إلى القبائح من هذه القبائح التى تشتمل عليها الشرائع ذبح الحيوان مثلا فالعقل قاض بقبح ذلك ومن القبائح التى لا يقبلها عاقل ، ما تروع منه العقول كالانحناء فى الركوع و الانكباب على الوجه فى السجود ، والتعرض والهرولة فى الحج والتردد بين جبلين ورمى الجمار من غير مرمى إليه إلى غير ذلك مما يقولون به ([1])

والظاهر أنهم يرون أن بعض ما جاء به الرسل من الشرائع كما فى العبادات وبعض الأعمال المشروعة أنها بعيدة عن متناول العقل فلا يجوز للعقل السليم أن يواظب على هذه الأعمال ([2])

الرد على هذه الشبهة

بالإضافة إلى ما ذكرناه فى الرد على الشبهة السابقة وخاصة ما ذكره الإمام الإيجى فى مواقفه نقول : إن ذبح الحيوانات أو البهائم ونحوها من الأعمال والأفعال التى يرفضها العقل والإنسانية ، هذا القول مردود ، إذا قارناه بأفعال الله الأخرى كإيلامه البهائم والأطفال الذين لم يقترنوا ذنبا ولم يكتسبوا وزرا وأنهم معترفون بذلك من الله لحكمة فلماذا أنكروا الحكمة الواضحة فى ذلك الفعل ؟

أما فى الأفعال الأخرى من العبادات والأعمال التى ذكروها وأنها مستقبحة عقلا ، هذا افتراض بعيد عن الحق فالله أودع فيما خفى علينا حكمه ومنافعه ولا يلزم من عدم علمنا به أنها ليست موجودة فإننا لا نعلم كل شئ ولا تدرك عقولنا كل شئ وهذا هو ما أكده الإمام

---

١ - راجع فى ذلك الإرشاد للإمام الجوينى ص ٣٠٤ بتصرف والمواقف – الموقف السادس للإمام الأيجى ص ١٩٠ .

٢- الارشاد للجوينى ص ٣٠٥ .

الغزالى بقوله : إن الإنسان ليس إلا كنقطة فوق حبل ممدود فى الماضى إلى ما لا يعلم إلا الله بدايته وممدود فى المستقبل إلى ما لا يعلم إلا الله نهايته وعلى هذا الحبل تقع جميع المخلوقات الأخرى كل واحد منها يمثل نقطة واحدة فيه ، فلماذا أيها الإنسان وأنت لست إلا نقطة واحدة من هذه اللانهائية تدعى لنفسك حق الإشراف عليها والتشريع لها وأنت نقطة واحدة ضئيلة فى متاهات شاسعة لا تعرف لنفسك فيها وردا ولا صدرا (١) ومن اطلع على كتب أسرار التشريع يجد أن فى كل ما ذكروه حكما ومصالح تعود على الناس بالخير والسعادة فى الدنيا والآخرة كما أوضحنا فى الرد على الشبهة السابقة وكما يقول الإمام الغزالى أيضا ، وغريب أن يكون ذلك قبيحا وملايين من الناس تفعله وفيهم كثيرون من العلماء والفلاسفة فهل ألغى هؤلاء جميعا عقولهم أم خفى القبح فيه . (٢)

ثانيا : الشبه الموجهة إلى المعجزة

الشبهة الأولى :

إنهم قالوا إن المعجزة حدث خارق للعادة ولم يجر على نوامس الطبيعة المعروفة عند الناس ولم يستند على التلازم بين السبب والمسبب ، فالقول بتجويز وقوعها يلزم عليه أمور كثيرة منها .

أنه مخالف للأحكام العقلية لأن العقل يبنى أحكامه على خواص الأشياء الثابتة وأنها مبنية على أسباب ومسببات ذاتية لا تتخلف ، فالمسببات مرتبطة بالأسباب ارتباطا عقليا فإذا انحرفت خواص الأشياء عن طبائعها وتخلف التلازم الدائم بين الأسباب عن مسبباتها فلا

١- فيصل التفرقة - الغزالى صـــ ١٤٣ والإرشاد للجوينى صـــ ٣٠٥ .
٢- فيصل التفرقة صـــ ١٤١ .

يستطيع العقل أن يبنى حكمه فى جميع الأمور والقضايا وبالتالى لا تستقيم أحكامه وكذلك إذا جاز تخلف السبب عن المسبب فلا تستقيم القوانين العلمية التى تقوم على الاستقراء والتجربة فإن هذه القوانين خاضعة لاضطراد السبب والمسبب (١)

الرد على هذه الشبهة

لقد أثبت المتكلمون أن المعجزات من الأمور الممكنة عقلا ولا يترتب على وقوعها محال .

فوقوع خوارق العادات التى جرت على أيدى الأنبياء ممكنة وهى ليست أعجب من إبداع الكون وما فيه وإثبات سيره على نظام معين وكذلك إعدامه بعد ذلك ، فهذا القول يسهل فهم المعجزات إذا كنا نرجع إلى قدرة الله تعالى لأن كل ممكن يجوز وقوعه تحت سيطرته وقدرته ، فالله خلق فينا علما بأن انقلاب الشئ إلى شئ آخر دون ما يسمى سببا أمر ممكن فى نفسه ولكنه لا يقع لاستمرار عادة ترتيب الأشياء بعضها على بعض بإرادة الله وحدة حتى رسخ فى أذهاننا أنها تجرى دائما وفق هذه العادة (٢)

غير أن أكثر المتكلمين يرون أن استمرار الظواهر الطبيعية على نسقها المألوف الذى نراه ليس شيئا ضروريا وإنما هو نسجته العادة فقط فاقتران السبب بالمسبب ليس اقترانا ذاتيا أو ضروريا لا يتخلف ومثلوا لذلك بقولهم إنه لا يلزم من الأكل الشبع ولا من ملامسة

١- شرح المواقف - الموقف السادس ص ١٨٩٦ بتصرف وراجع فى ذلك تلبيس ابليس للحافظ بن الجوزى ص ١١١ ، ١١٢ ط مكتبة الدعوة الإسلامية - مصر - بدون تاريخ .

٢- تهافت الفلاسفة-الغزالى-ص ٢٢٩ بتصرف ط دار المعارف وراجع بين الدين والفلسفة د/محمد يوسف موسى ص ١٩٤ دار المعارف-مصر سنه ١٩٥٩ .

الجسم النار لزوم الاحتراق ، أما المسبب فهو الله تعالى الذى خلق الاحتراق عند الملامسة وبذلك يجوز أن يتخلف المسبب مع وجود السبب ، وهذا القول هو ما ذهب إليه – مالبرانش – فى القرن السابع عشر ، – وهيوم – من بعده – حيث قال إن التجربة ترينا فقط أن واقعة تنتج عنها أخرى دون أن يبين لنا ارتباطا ضروريا بينهما ([1])

وبهذا يتفق فلاسفة الغرب مع الأشاعرة فى القول بأن العلية لا تثبت بالدوران وأن ارتباط السبب بالمسبب ليس ارتباط عقليا وإنما رسخ هذا فى أذهاننا لاستمرار الظواهر الطبيعة أنها تجرى دائما وفق هذه العادة والنظام .

ومن هنا نقول المعجزة حدث خارق للعادة ومع ذلك فلم يجر على نواميس الطبيعة المعروفة عند الناس وأيضا لم يستند على التلازم بين السبب والمسبب .

الشبهة الثانية :

قالوا إن المعجزة ممتنعة فلا تثبت النبوة أصلا ، لأن تجويز خرق العادة سفسطة ولو جوزناه لجاز انقلاب الجبل ذهبا وماء البحر دما ودهنا وأوانى البيت رجالا كملا ، وتولد هذا الشيخ دفعة بلا أب وأم وكون من ظهرت المعجزة على يده غير من ادعى النبوة بأن يعدم المدعى عقيب دعواه بلا مهلة ويوجد مثله فى آن إعدامه فيكون ظهور المعجزة على يد المثل ، لا يخفى ما فى تجويز خرق العادة من والإخلال بالقواعد المتعلقة بالنبوة وغيرها إذ يجوز أن يكون الآتى بالأحكام الشرعية فى الأوقات المتفرقة أشخاصا مماثلة للذى ثبتت نبوته

---

[1] – موقف العقل والعلم مصطفى صبرى ح ٤ صـــ٣٤ ط إحياء التراث العربى بيروت ط ٢ س ١٤٠١ هـــ .

بالمعجزة وأن يكون الشخص الذى تتقاضاه غير الذى كان عليه دينك إلى غير ذلك من المفاسد التى تنافى نظام المعاش والمعاد (١)

الرد على هذه الشبهة

نقول إن خرق العادات ليس أعجب من خلق السموات والأرض وما بينهما ومن انعدامها الذى نقول نحن به ، والجزم بعدم وقوع بعضها كما فى الأمثلة المذكورة لا ينافى إمكانها فى أنفسها وذلك كما فى المحسوسات فإنا نجزم بأن حصول الجسم المعين فى الحيز المعين لا يمتنع فرض عدمه ، مع الجزم به جزما مطابقا للواقع ثابتا لا تتطرق إليه شبهة للحس الشاهد به شهادة موثوقا بها ، والعادة أحد طرق العلم كالحس ، فجاز ذلك الجزم بشئ من جهة العادة مع إماكن نقيضه فى نفسه ثم إن خرق العادة إعجاز لنبى وكرامة لولى عادة مستمرة توجد فى كل عصر وإذا فلا يمكن للعاقل المنصف إنكاره ، أو فلا يكون حينئذ خرقا للعادة بل أمر عاديا ، والمعجزة عندنا ما يقصد به تصديق مدعى الرسالة وإن لم يكن خارقا للعادة (٢)

وفى نهاية القول نقول :

النبوة اتصال بين الله تعالى وعبده الذى اختاره الله واصطفاه لتبليغ تعاليمه وأحكامه بطريقة تتجاوز حواسنا ولا تدخل فى نطاق مدركاتنا ، فهى فى الواقع دعوة لا يخضع إثباتها لشهادة بشرية عادية ، بل إنها تحتاج فى إثبات صدقها إلى أمر آخر هو مشاعرنا وعقولنا وذلك كأن يظهر الله على يد مدعيها معجزة لأنه متى اقترنت دعوة

١- المواقف - الموقف السادس - الإمام الايجى ص ١٨٥ - ١٨٦ .

٢ - نفس المرجع .

الأنبياء بهذا الأمر فذلك يفيد صدق دعوتهم وتعزيزا لرسالتهم وتنبيها للإيمان بالرسالة .

وإذا كان الأمر كذلك فليس من الصعب أن تفسر المعجزة بأنها تجرى على سنة خاصة ونظام معين فهذه السنة مخالفة لسنن الطبيعة ولعاداتها مادمنا معترفين أن موجد العالم هو الذى وضع هذه القوانين الطبيعية المألوفة فلا ريب أنه قادر على أن يسن سنة ثانية وثالثة ورابعة وهكذا .

وإذا كنا نعتبر المعجزة أمرا خارقا للعادة والطبيعة الكونية المألوفة فإن ذلك لا يمنع من أن تكون فى ذاتها تجرى على سنة من سنن الله فى خلقه .

يقول الأستاذ مصطفى صبرى – إن النظام وضعه الله سبحانه وتعالى ووحدانيته فى خلقه ، فإن خرق هذا النظام بالمعجزة دليل على وجود أنبيائه وتصديقه لهم ، ومن هذا يمكننا أن نعد تأييد الأنبياء بالمعجزات من سنن الله ونظامه لكن نظام خاص استثنائى وغريب للبشر (١)

١- موقف العقل والعلم – مصطفى صبرى ح ٤ ص ٣٠ .

الفصل الرابع

إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وعموم رسالته

المبحث الأول

أولا : إثبات نبوة سيدنا محمد

تمهيد

بعد أن انتهينا من الحديث عن النبوة بصفة عامة والأدلة التى يستدل بها على إثباتها ، بقى لنا أن نتحدث عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من ناحية إثباتها و عمومها بصفة خاصة فإن رسالته صلى الله عليه وسلم تختلف عن الرسالات السابقة وذلك لعمومها وختمها وما لها من الخصائص والمميزات التى تتميز بها دون غيرها ويكفى أنها مصدقة لرسالات الأنبياء السابقين . ولقد تحدثنا فى الفصل السابق عن إثبات النبوة بصفة عامة كما أشرنا ويدخل تحت هذا الإثبات إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

لكن أود أن أشير إلى أن هناك دليلا متفقا عليه عند أهل الكلام والفلاسفة وهذا الدليل هو لب الأدلة على إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا الدليل هو معجزة القرآن الكريم يقول الإمام الرازى فى إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واعلم أننا متى دللنا على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد دللنا على صحة أصل النبوة فنقول .

إن محمدا صلى الله عليه وسلم ادعى النبوة وظهرت المعجزة على وفق دعواه وكل من كان كذلك كان رسولا حقا ينتج أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا ([1])

وأيضا يقول ابن حزم إننا صدقنا نبوة موسى وعيسى وغيرهما عليهم السلام لأن محمدًا صلى الله عليه وسلم صدقهم وأخبرنا عنهم وعن أعلامهم ولولا ذلك لما صدقناهم ([2])

---

١ - الأربعين للإمام الرازى ح ٢ ص٧٦ .

٢ - الفصل لابن حزم ح ١ ص ٨٢ ط محمد على صبيح سنه ١٣٨٤ هـ .

هذا ونعتمد على إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع معجزة القرآن الكريم بما يلى :

١- معجزة القرآن . ٢- المعجزات الحسية .

٣- البشارات بنبوة سيدنا محمد . ٤- شهادة الخصوم بسيرته وخلقه .

٥- سرعة انتشار دعوته صلى الله عليه وسلم .

١- القرآن الكريم

القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للرسول صلى الله عليه وسلم وبه وقع التحدى للثقلين إنسا وجنا .

إن التحدى للعرب وقع فى مكة والمدينة وأعلنه القرآن مرات كثيرة وطالبهم بالاستعانة بمن شاءوا من علماء وحكماء وفصحاء ففى سورة الإسراء يقول (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (١)

ثم خفف القدر المتحدى به فقال :

(أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) (٢)

ثم تنازل لهم فى التحدى فقال (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) (٣)

ولو نظرنا إلى هذه الآيات السابقة لوجدناها واقعة فى سور مكية نزلت قبل الهجرة على رسول الله وهو بمكة ثم نزل عليه وهو

---

١ – سورة الإسراء الآية ٨٨ .

٢ – سورة هود الآية ١٣ .

٣ – سورة يونس الآية ٣٨ .

بالمدينة قوله تعالى (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسور من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) ([١])

ومن هنا نقول إن التحدى للناس جميعا ظل قائماً مع عمر الرسالة كلها ثلاثا وعشرين سنة وجعله الله حجة لصدق النبوة ، فلماذا اتجهوا إلى حمل السلاح وخوض المعارك ووقوعهم أسرى وقتلى والأمر ميسور لو استطاعوا المعارضة .

يقول الدكتور المسير / إن الثابت والواقع الذى لا يقبل الريب أن الظاهرة القرآنية أوقعتهم فى ذهول وجعلتهم حيارى يتخبطون فى أحكامهم عليها ([٢])

ومن هنا نعلم أن القرآن هو الدليل القاطع على إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك كما يقول ابن رشد . فهو يصلح للخاصة والعامة وما عداه من الآيات فهى مقنعة ومؤكدة ولا تدل دلالة قطعية إذا انفردت ([٣])

وقال الإمام البيهقى : تحت عنوان " طريقة القرآن فى إثبات النبوة "

الطريقة القرآنية فى إثبات النبوة هى إيراد أدلة كثيرة تتكاتف لتؤدى إلى اليقين ، فالقرآن الكريم تحدى العرب والعجم والإنس والجن أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) ([٤]) وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أربعين عاما ، فلم يحدثهم قبل ذلك بنبوة ولا برسالة فهذا الأمر

---

١ - سورة البقرة الآية ٢٣ .

٢ - راجع فى ذلك كتاب فى نور العقيد الإسلامية - د / محمد سيد أحمد المسير ح ٢ ص ٦٤ - ٦٥ .

٣ - الفعلية فى فلسفة ابن رشد بتصرف د / عاطف العراقى ص ٣٥٤ .

٤ - سورة البقرة الآية ٢٣ .

يخضع لمشيئة الله فقط (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبست فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) ([١]) فهذا النبى صلى الله عليه وسلم قد نشأ بينهم وترعرع على مرأى ومسمع منهم بل كانوا يعرفونه بالصدق والأمانة ورجاحة العقل ولم يعهدوا عليه كذبا قال الله تعالى (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) ([٢]) فلم الشك فى أمره مع أنه قد تجرد عن كل مطمع دنيوى ؟ (قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شئ شهيد) ([٣]) ولم الشك فى أمره وهو أمى لا يقرأ و لا يكتب ، ولا يمكن أن يستمد من كتاب (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون([٤])) ([٥])

وللإمام الغزالى فى كتابه " المنقذ من الضلال" طريقة فى إثبات النبوة قال : فإذا وقع لك شك فى شخص معين أنه نبى أم لا ؟ فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة أحواله بالمشاهدة أو بالتواتر والتسامح فإنك إذا عرفت الطب والفقه ، يمكنك أن تعرف الفقهاء والأطباء بمشاهدة أحوالهم وسماع أقوالهم وإن لم تشاهدهم ولا تعجز أيضا عن معرفة كون الشافعى رحمه الله فقيها وكون جالنيوس طبيبا معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير ، بل بأن تتعلم شيئا من الفقه والطب وتطالع كتبهما وتصانيفهما ، فيحصل لك علم ضرورى بحالهما .

---

١ - سورة يونس الاية ١٦ .
٢ - سورة سبأ الاية ٤٦ .
٣ - سورة سبأ الاية ٤٧ .
٤ - سورة العنكبوت الاية ٤٨ .
٥ - دلائل النبوة للإمام البيهقى تحقيق د / عبد المعطى قلعجى ح ١ ص ١٢ ط المكتبة السلفية ط ١ سنه ١٣٨٩ .

فكذلك إذا فهمت معنى النبوة فأكثرت النظر فى القرآن والأخبار يحصل لك العلم الضرورى بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة (١) ونرجع إلى ما قاله الإمام الرازى فى كتابه الأربعين فعندما أراد أن يتعرض لإثبات نبوة سيدنا محمد بمعجزة القرآن جعل ذلك فى قضية على هذا الشكل فقال : إن محمدا صلى الله عليه وسلم ادعى النبوة وظهرت المعجزة على وفق دعواه وكل من كان كذلك كان رسولا حقا ينتج أن محمد صلى الله عليه وسلم رسول حقا .

المقدمة الأولى : أن محمد صلى الله عليه وسلم ادعى النبوة والاعتماد فى إثبات هذه المقدمة على الأخبار المتواترة وتقرير ذلك : أنا سمعنا من أهل التواتر فى عصرنا انهم قالوا سمعنا أهل التواتر ، وعلى هذا الترتيب نقل أهل التواتر عن أهل التواتر إلى أن يصل هذا النقل إلى قوم قالوا إنا شاهدنا محمد بن عبد الله : كان يقول إنى رسول الله إليكم ، وقد عرفت أن مثل هذا الخبر يفيد العلم القطعى فعلمنا بهذا الطريق أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان موجودا وأنه كان يدعى أنه رسول الله (٢)

وأما المقدمة الثانية : وهى أن المعجزة ظهرت على وفق دعواه ، فاعلم أن اعتماد المتكلمين فى هذه المسألة على أن القرآن معجز والقرآن ظهر على وفق دعواه فيلزم من هاتين المقدمتين أن المعجزة ظهرت على وفق دعواه (٣)

١- دلائل النبوة للإمام البيهقى ج ١ ص ١٣ .
٢- الأربعين فى أصول الدين للإمام الرازى ج ٢ ص ٨٠ ، ٨١ .
٣- الأربعين للإمام الرازى ص ٨٧ .

وأما المقدمة الثالثة : وهى أن كل من كان كذلك كان صادقا فالذى يدل عليه : هو أن المعجزات لما عجز الخلق عنها كان ذلك فعلا من أفعال الله تعالى خلقه عقيب دعواه وخلق المعجزة عقيب الدعوة يدل على تصديق مدعى الرسالة ([1])

وبعد أن نزل القرآن على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم تعدد أسلوبه فى تحدى العرب كما ذكرنا على أن يأتوا ولو بآية فلم يستطيعوا حينئذ وصف من كذبه بأنه أصم وأبكم وأعمى وفى الظلمات ليس بخارج منها بل وأضل من الأنعام وله فى الآخرة نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ، فما كان أيسر للعرب أن يعارضوا القرآن لو استطاعوا ليزيلوا عن أنفسهم هذه النقائص ويريحوا أفئدتهم من هذا العناء لقد أكد القرآن فى أسلوب معجز أنهم عاجزون عن المعارضة فقال (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) ([2])

فالتعبير بقوله ولن تفعلوا يفيد تأكيد نفى المستقبل وهذا هو منتهى التحدى لهم والإحباط من جانبهم وقد يتوهم البعض أن التحدى القرآنى موجه للعرب فقط .

وهذا وهم كبير فإن التحدى لأهل الذكر والاختصاص ينسحب على غيرهم من باب أولى ومن شهد له الأطباء أو علماء الفضاء باختراع معين فاق به أقرانه لا يضره أن يتعرض لجاهل من عامة الناس .

١- نفس المرجع ح ٢ ص ٩٧ .
٢ - راجع - من أثر الفكر الدينى فى البلاغة العربية للإمام جلال الدين السيوطى ص ٢٥٩ .

إن التحدى القرآنى موجه إلى العالمين فى شخص الناطقين بالعربية فإذا عجز العرب وهم أهل اللغة وأرباب فصاحتها والعارفون بأسرارها فقد لزمت الحجة وقام عليهم الدليل ، ومن أبى فليعارض وليقدم ما يثبت به معارضته وسيعلم حينئذ أنه يعيش فى سراب فكرى وظلام عقدى ولا نجاة له إلا فى نور القرآن (١)

إعجاز القرآن الكريم

اختلف العلماء فى وجه الإعجاز فى القرآن الكريم فذكروا وجوها كثيرة وكأن كل واحد منهم نظر إلى القرآن من زاويته الخاصة فأدرك ما أدرك من مواطن الإعجاز وذلك أن كل ما فى القرآن معجز ولقد سئل بندار الفارسى عن موضع الإعجازمن القرآن الكريم فأجاب بأن السؤال خطأ وهو شبيه بقول القائل ما هو موضوع الإنسان من الإنسان فليس للإنسان موضع من الإنسان ، بل متى أشرت إلى جملته فقد حققت وكذلك القرآن لا يسأل عن موضع الإعجاز فيه لأن كل شئ فيه معجز وليس فى طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله فى كلامه وأسراره فى كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده (٢) ذلك أن كل إنسان نظر فيه أخذ منه على قدر طاقته العقلية والروحية والقلبية ، ومن هنا اختلفت أراء العلماء قديما وحديثا فى وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم فقال قوم هى الإيجاز مع البلاغة وقال آخرون بل البيان والفصاحة ومنهم من ذهب إلى أن إعجاز القرآن راجع إلى نظمه وأسلوبه الخاص ، وقال البعض هو تأثيره فى القلوب والنفوس ومنهم من قال هو ما فيه من الإخبار عن المغيبات .

---

١ – راجع فى نور العقيدة الإسلامية د/ محمد سيد أحمد المسير ص ٦٦ ، ٦٧ .
٢ – الإتقان فى علوم القرآن ج ٢ ص ١٢١ .

هذه هى أراء قدامى العلماء والمفكرين فى إعجاز القرآن وما فى العصر الحديث فقد ذهب كثير من العلماء إلى أن وجه إعجاز القرآن هو ما فيه من الحقائق العلمية لم يعرفها العلم الحديث إلا فى العصور الحديثة (١)

كما ذهب المحدثون إلى أن وجه الإعجاز فى القرآن الكريم راجع إلى تصويره الفنى للحقائق ، بل هناك من العلماء من ذكر فى إعجاز القرآن الكريم خمسة وثلاثين وجها لإعجاز القرآن الكريم (٢) ومنهم من ذكر ما يقرب من سبعين وجها من وجوه الإعجاز ، وهو الفيروز آبادى ثم قال بعد ذكره لوجوه إعجاز القرآن الكريم ، والغرض من ذكر هذا المجمل التنبيه على أن الكلمات القرآنية كل كلمة منها بحر لا قصر له ولا ساحل فأنى للمعارض الماحل (٣)

ويقول صاحب المعجزة والإعجاز ، وهذه الأراء راجعة فى نظرى إلى طبيعة القرآن نفسه فهو عطاء متجدد لكل الأزمان والعصور وكلما أتى جيل وجد فى القرآن الجديد ولن ينتهى هذا العطاء حتى تنتهى الدنيا بما فيها (٤)

ولكن لا نستطيع أن نتناول كل هذه الوجوه لذلك نتناول أهم الوجوه فى إعجاز القرآن باختصار وإيجار .

---

١ - راجع المعجزة والإعجاز د / سعد الدين صالح ص ٩٣ - ٩٤ .
٢ - راجع - من أثر الفكر الدينى فى البلاغة العربية للإمام جلال الدين السيوطى ص ٢٥٩ .
٣ - بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز أباد ص ٦٥ وما بعدها ط المكتبة العلمية بيروت بدون تاريخ .
٤ - المعجزة والإعجاز د / سعد الدين صالح ص ٩٤ - ٩٥ .

الإعجاز البيانى :

الإعجاز البيانى : هو ذلك النظم البديع والفصاحة البالغة والمعنى الراقى وهذا النوع من الإعجاز هو المقصود عند الإطلاق لأنه متغلغل فى سور القرآن وآياته حتى قال أحد الباحثين ، إننا لو لم نثبت الوجوه الأخرى لإعجاز القرآن الكريم لكفى العقلاء والمنصفين هذا الوجه ، ذلك أن التحدى الذى تضمنته آيات التحدى التى سبق ذكرها إنما هو تحد بلفظ القرآن وبيانه لا بشئ آخر خارج عن ذلك فما هو تحدى عن المغيبات ولا بما تضمنه القرآن من حقائق العلوم الكونية ولا اشتماله على أصول العقيدة وحقائق الشريعة ، بل كان بشئ واحد هو بيان القرآن وبلاغته وفصاحته ([1])

ثم يقول لا أدل على ذلك من أن السور الأولى التى نزلت فى القرآن لم تكن تشتمل عل هذه الوجوه ومثل لذلك سورة العلق ([2])

ولقد طلب منهم رسول الله أن يأتوا بمثله بمجرد سماعه ، ولا معنى لمثل هذه المطالبة إلا بالإقرار بمجرد التلاوة إلا أن هذا المقروء عليهم كان هو فى نفسه آية فيها أوضح الدليل على أنه ليس كلام البشر بل كلام خالق البشر لما فيه من النظم البديع الذى لم تعهده العرب فى أحاديثها ولا فى آدابها ([3])

فأهل الفصاحة والبلاغ لو أقروا عن طريق النظم البديع والفصاحة العالية أن القرآن كلام الله لكان هذا الإقرار بصحة ما جاء فيه من الوجوه الأخرى للإعجاز مثل الاشتمال على دقائق التشريع ومثل إخباره عن الغيب وغير ذلك .

١- المعجزة والإعجاز د / سعد الدين صالح ص ٩٥ .
٢- نفس المرجع ص ٩٦ .
٣ - نفس المرجع و الصفحة .

هذا وقد ذكر العلماء مجموعة خصائص للأسلوب القرآنى ذكرها الدكتور / محمد سيد احمد السيد فى كتابه فى نور القصيدة الإسلامية نذكر منها .

الخاصية الأولى :

النظام الصوتى البديع الذى قسمت فيه الحركة والسكون تقسيما منوعا ووزعت فى تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعا بالقسط على ترجيح الصوت به إنه ليس بأنغام الموسيقى ولا بأوزان الشعر ولكنه شئ أخر فى لحن متنوع متجدد يأخذ بأوتار القلوب .

إن الجمال الصوتى للقرآن راجع إلى الظاهرة الفريدة فى ترتيب حروفه وكلماته التى تخضع للإخفاء أو الإظهار أو الهمس أو الجهر وغير ذلك (١)

ونأخذ على هذه الخاصية مثلا واحد نوضح فيه ذلك قال تعالى (وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسها إن ربى لغفور رحيم * وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى أركب معنا ولا تكن مع الكافرين * قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين * وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين) (٢)

١ – فى نور العقيدة الإسلامية د / محمد سيد أحمد السيد ص ٧٣ .
٢ – سورة هود رقم ٤١ – ٤٤ .

فلو استمعت إلى هذه الآيات وما فيها من بديع التنسيق وعجيب النظم وجميل الفواصل وكيفية تركيب الحروف وارتباط الكلمات بعضها ببعض لأيقنت بإعجاز القرآن من هذا الوجه .

الخاصية الثانية :

القصد فى اللفظ والوفاء بالمعنى وهما غايتان لم يجتمعا لكلام بشر فالذى يعمد إلى ادخار لفظه يحيف على المعنى قليلا أو كثيرا ، والذى يعمد إلى الوفاء بحق المعنى وتحليل عناصره وإبراز كل دقائقه لا يجد بدا من أن يمد فى كلامه مدا ([1])

ولنا أن ننظر فى هذا اللفظ الذى وضع فى موضعه المناسب لو وضعنا لفظ مكانه لما أدى إلى المعنى المقصود أبدا ولذلك قال ابن عطية فى تفسيره .

إن كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد .

ولنأخذ مثالا واحدا يوضح ذلك من قوله الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض) فمنها كلمة اثاقلتم إنما وضعت لكى ترسم صورة معينة لأولئك المتقاعسين عن الجهاد ، ولو أننا غيرنا اللفظ بكلمة تثاقلتم مثلا لما أدى المعنى المنشود إذ اللفظة القرآنية فيها هذا التثاقل الشديد الذى يرسم صورة هؤلاء الهاربين من الجهاد فى سبيل الله ([2])

---

[1] - فى نور العقيدة الإسلامية د / المسير صـــ ٧٤ .

[2] - راجع المعجزة والإعجاز د/ سعد الدين ص ١٢٥ والاية من سورة التوبه٣٨

الخاصية الثالثة :

إمتاع العقل وإمتاع العاطفة أسلوبان متمايزان ، ولقد بات العرف العام يقسم الأسلوب إلى علمى وأدبى فنجد فى كلام العلماء جفاء لا يحرك النفوس ونجد فى كلام الأدباء عقما لا يقنع العقول ولا يتسنى لإنسان أن تأتى كل جملة من كلامه جامعة للغايتين معا ، ولكن القرآن وهو فى مجال الاستدلال العقلى على البعث والإعادة فى مواجهة المنكرين يسوق استدلاله سوقا يهز القلوب هنا ويمتع العاطفة إمتاعا قال تعالى (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج * والأرض مددناها وألقينا فيها رواسيا وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) (١)

الخاصية الرابعة :

الإيجاز وهو التعبير عن المقصود بأقصر عبارة والوصول إلى المعنى من أقصر الطرق وكما يقول الدكتور محمد دردار " بالقصيد فى اللفظ مع الوفاء بحق المعنى – وذلك كما فى قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) (٢) .

والمعنى المقصود من هذه العبارة الموجزة : هو أن الإنسان إذا علم أنه متى قتل كان ذلك داعيا قويا إلى عدم إقدامه على القتل ، فلا يقتل وبذلك يكون فى ارتفاع القتل قصاصا حياة للناس .

---

١ – راجع فى نور العقيدة الإسلامية د/السيد ص٧٥ والايات من سورة ق٦–١٠ .

٢ – راجع نبأ العظيم د / محمد عبد الله دراز ص ١٠٩ ط دار القلم ببيروت والاية من سورة البقرة الآية ١٨٩ .

هذا المعنى الطويل عبرنا عنه بألفاظنا البشرية هذا التعبير المطنب عبر عنه القرآن بهذه العبارة الموجزة . ([1])

الخاصية الخامسة :

خطاب العامة والخاصة ، وهاتان غايتان متباعدتان لكل منهما أساليبه ومعانيه فالعامة تحتاج إلى الواضح المكشوف والخاصة يكفيها الإشارة واللمحة ([2])

ففى القرآن الكريم نجد الآية الواحدة يراها البلغاء أوفى كلام : مقاصد البلاغة ويراها العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم مثال ذلك قول الله تعالى (أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون) ([3])

فلو عرضنا هذه الآية على عامة الناس الذين لا يستطيعون القراءة ولا الكتابة لفهموا منها أن كل مخلوق لابد له من خالق .

ولو عرضنا هذه الآية على خاصة الناس وهم العلماء والفلاسفة لقالوا نفس ما قالوه العامة وربما قاموا بأدلة وبراهين توصلهم فى نهاية الأمر إلى نفس القول الذى قاله عامة الناس .

وهكذا نجد كل هذه الخصائص وغيرها تدخل تحت هذا الوجه الذى يعد من أهم وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم وقد قال الدكتور/سعد الدين صالح فى قوله : إننا لو لم نثبت الوجوه الأخرى لإعجازه لكفى العقلاء والمنصفين هذا الوجه .

---

١ - المعجزة والإعجاز د / سعد الدين ص ١٣١ .
٢ - فى نور العقيدة الإسلامية د / السيد ص ٧٤ .
٣ - سورة الطور الآية ٢٥ .

الوجه الثاني : الإخبار بالغيوب الماضية والمستقبلة :

لقد اشتمل القرآن الكريم على قصص الأولين وصحّح مفاهيم الناس حول قضايا تتعلق بالماضي البعيد ثم كشف عن مواقف ودخائل في أنفس فريق من البشر يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله . ثم أخبر بأمور وأحداث في المستقبل القريب والبعيد انقطعت دونها الأسباب وقعدت عنها مقاييس العقل وفراسة الوجدان وجاء الواقع بعد ذلك تصديقا وتحقيقا لما تنبأ به.

والذي نريد أن نؤكده ابتداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم الغيب من تلقاء نفسه ولم يكن ممن انقطع لدراسة التاريخ وتمحيص حوادثه ولم تكن المقدمات القريبة أو البعيدة تمهد لحدث المستقبل حتى ينسب ذلك إلى فراسة أو ذكاء .

وقد أكد القرآن هذا القول قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآيتنا إلا الظالمون)([1])
وقال تعالى : (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحي إلى)([2]) .

هذا ويمكن إن نقسم الإخبار بالغيب إلى أنواع ثلاثة :

١- غيب الماضي.
٢-غيب الحاضر.
٣- غيب المستقبل.

[1]- سورة العنكبوت الآية ٤٨،٤٩.
[2]- سورة الأنعام الآية ٥٠.

ونفصل ذلك فنقول :

١- أما عن غيب الماضي :

فهو ما أخبر القرآن الكريم من مغيبات لم يشهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن على دراية بتفاصيلها ولم يقرأ كتابا يستفيد منه ذلك.

وهذا هو ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله(ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك)([١]) وقوله تعالى: (تلك من أنبياء الغيب نوحيها إليك)([٢]) .
مع ملاحظة أن هذا الإخبار بالتاريخ الغائب عن حاضر الناس قد صحّح أوهامهم وأثبت لهم أشياء كثيرة منها على سبيل المثال أثبت لهم أن عيسى عبد الله ورسوله وليس كما يقول النصارى من أنه ابن الله أو ثالث ثلاثة، وأن موسى كليم الله وجيها وسليمان نعم العبد آتاه الله النبوة والملك، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا، وأن إبراهيم خليل الرحمن ومسلم لايهودى ولانصرانى ولم يك مشركا.

وهكذا هيمن القرآن على التاريخ الإنساني وصحّح مساره الفكري وصدق الله تعالى في قوله (إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون)([٣])

والآيات القرآنية توضح ذلك

ففي حق عيسى عليه السلام يقول القرآن(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)([٤])

---

[١]- ال عمران الاية ٤٤
[٢]- سورة هود الآية ٤٩
[٣]- سورة النمل الاية ٧٦
٤- سورة ال عمران الاية ٥٩

ويقول(لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)([1])

وفى حق موسى قال : (وكلم الله موسى تكليما)([2]) وقال (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها)([3])

وفى حق سليمان قال : (ووهبنا لداود سلميان نعم العبد إنه أواب)([4]) وقال : (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا)([5])

وفى حق إبراهيم قال : (واتخذ الله إبراهيم خليلا)([6]) وقال : (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين)([7]) .

وهكذا أخبر القران عن كل ما غاب عنا وصحّح مفاهيم البشر.

٢- غيب الحاضر

ونقصد بغيب الحاضر ما كشفه القرآن الكريم من خفايا النفوس المحيطة برسول الله صلى الله عليه وسلم والمنتشر في مجتمع المؤمنين بالمدينة وأكثر ما ورد من ذلك كان خاصا بالمنافقين الذين أضمروا الكفر بالله ورسوله وسايروا المؤمنين في شعائر الدين خداعا ومكرا، ومن المعلوم أن العهد المكي للمسلمين لم يوجد به نفاق وإنما انقسم الناس إلى كافر متكبر أو مسلم مستضعف([8]) أما أهل النفاق

١- سورة المائدة الآية ٧٣
٢- سورة النساء الاية ١٧٤
٣- سورة الأحزاب الاية ٦٩
٤- سورة ص الاية ٣٠
٥- سورة البقرة الاية ١٠٢
٦- سورة النساء الاية ١٢٥
٧- سورة ال عمران الآية ٦٧
٨- راجع في نور العقيدة الإسلامية د/ المسير ص ١٠٠

فكانوا في العهد المدني والقرآن الكريم وضح ذلك وفضح أهل النفاق ، وقال تعالى(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)([1])

وقال تعالى (و يحلفون إنهم لمنكم و ما هم منكم و لكنهم قوم يفرقون * ليجدون ملجأ أو مغارات أو مدّخلا لولوا إليه وهم يجمحون)([2])

وقال تعالى(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون)([3])

٣-غيب المستقبل:

ونعنى بغيب المستقبل ما أخبر به القرآن الكريم من حوادث أو ما وعد به من آمال أو أشار إليه من نذر أو ألمح به من قضايا كل ذلك شفى مستقبل الأيام([4])

ونستطيع أن نصنف هذا الغيب المتعلق بالمستقبل إلى موضوعات عديدة منها:

أ – ما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم مثل قوله تعالى (والله يعصمك من الناس)([5]) وقوله سبحانه : (وللآخرة خير لك من الأولى)([6])

١- سورة البقرة الايتان ٢٠٤، ٢٠٥
٢- سورة التوبة الاية ٥٦-٥٧
٣- سورة المنافقون الاية (١)
٤- فيَ نور العقيدة د/ المسير ص ١٠٩
٥- سورة المائدة الاية ٦٧
٦- سورة الضحى الاية (٤)

ب – ما يتصل بالقرآن نفسه مثل قوله تعالى(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ([1])

ج– ما يتعلق بالمؤمنين مثل قوله تعالى(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)([2])

د– ما ينذر المشركين مثل قوله تعالى (سيهزم الجمع ويولون الدبر)([3])

هـ– ما يرتبط بالتاريخ الإنساني العام مثل قوله تعالى(الم * غلبت الروم* في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون* في بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون* بنصر الله ينصر من يشاء و هو العزيز الرحيم)([4])

وهكذا أخبر القرآن الكريم عن هذه الأشياء وغيرها ووقعت بالفعل كما أخبر القرآن الكريم وهذا ما يدل على الإخبار بالغيب من وجوه الإعجاز القرآني .

الوجه الثالث : من أوجه إعجاز القرآن

عدم اختلافه و تناقضه مع طوله و امتداده و من هنا يتحقق قول الله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ([5])

١– سورة الحجر الآية ٩

٢– سورة النمل الآية ٥٥

٣– سورة القمر الاية ٤٥

٤– سورة الروم الآيات ١– ٥

٥– سورة النساء الآية ٨٢

وكذلك حفظه الله من التبديل و التحريف وصدق الله في قوله:
(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ([1])

الوجه الرابع : الإعجاز العلمي

والإعجاز العلمي في القرآن معناه ربط آيات القرآن الكريم وحقائق العلم الحديث بعضها ببعض و هذا ما يجعلنا نقول:إنه قد امتاز عن الكتب السابقة فإن الكتب السابقة جاءت نصوصها محدودة لا تصلح إلا لأهل ذلك الزمان الذي نزلت فيه هذه الكتب.

أما القرآن الكريم فهو يخاطب العقل الإنساني أيا كان زمانه وأيا كان مكانه ومن هنا امتازت نصوصه بعطائها الذي لا حدود له ويأخذ منه كل عصر ما يناسب حياتهم.

ولذلك يقول الدكتور/ الغمراوى : ومن العجيب أن القرآن يورد هذه الحقائق فى إسلوب حكيم خاص به يفهم منه الناس وقت نزوله على قدر عقولهم وما يبدو لهم فى الكون ،ثم بتقدم العلوم والوصول إلى حقائق جديدة نجد آيات القرآن الحكيم تتفق معها وبذلك يتجدد ايمان الناس بإعجاز القرآن الكريم كلما ظهرت لهم حقائق جديدة يرون القرآن قد أشار إليها أو عبر عنها([2]) .

هذا مما جعل الفيلسوف الفرنسي الشهير(اليكس لوزان) يقول خلف محمد للعلم كتابا هو آية البلاغة وسجل الأخلاق، هو كتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن وبين القوانين

١- سورة الحجر الآية ٩

[2]- الإسلام فى عصر العلم د/محمد أحمد الغمراوى ص ١٧

الطبيعية مع ما نبذله من المساعي للتأليف بين النصرانية وبين القوانين الطبيعية([1])

وقد ساعد الإسلام على ظهور العلوم الطبيعية بصورة عرفناها من خلال دعوته لعقيدة التوحيد فقد كان الشرك قبل الإسلام من أكبر العوائق في سبيل البحث العلمي والعلوم الطبيعية حيث كانت مظاهر الطبيعة آلهة تعبد لا مواضع تدرس وتبحث فقد كان الإنسان المشرك يعتبر القمر معبودا فكيف يجترئ على أن يطأه بقدميه وكان ينظر إلي السيول على أنها قوة تستحق العبادة فكيف له أن يفكر في توليد الكهرباء منها بعد تسخيرها .

أما الإسلام فقد حول كل هذه المقدسات إلي مواضيع للبحث والدراسة ففتح الطريق أمام البحث العلمي

وهذا ما يعترف به المؤرخ (أرنولد توينى) بقوله" إن إحدى نتائج الثورة الفكرية التي برزت إلي حيز الوجود علي أساس التوحيد أن الإنسان بدأ يلقى نظرة على عالم الطبيعة علي أساس أنها مخلوقة أن له أن يعلمها ويسخرها" ([2]) .

ولا شك أن الإعجاز العلمي يزيد المؤمن إيمانا بأن هذا الكتاب من عند الله كما قال صاحب المعجزة والإعجاز، فنحن نؤمن بإعجاز القرآن البياني والبلاغي والغيبي ولكن حين نكتشف أن في القرآن إعجازا علميا يواكب العصر نزداد إيمانا بأن هذا الكتاب من عند الله تعالي وأيضا يساعد المسلمين علي السير في طريق العلم، إذا فالعلم

---

[1]- الدين والعلم د/ أحمد عزت ص ٢٤

٢- قضية البعث الإسلامي – وحيد الدين خان ص ٩٢ ترجمة محسن الندوي ط دار الصحوة للنشر سنة ١٩٨٤

هو القوة التي ينبغي أن يعتمد عليها المسلمون اليوم بعد قوة عقيدتهم وإيمانهم([1])

وصدق الله في قوله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه علي كل شئ شهيد)([2])
وانتهي من الحديث عن وجوه إعجاز القرآن فأقول:

لو أردنا أن نبين في هذه الصفحات أوجه إعجاز القرآن لطال بنا المقام ولن نستطيع أن نبين كل وجوه إعجازه وذلك لأن الإنسان يعجز عن ذلك لأن القرآن عطاء متجدد لكل الأزمان والعصور ولن ينتهي هذا العطاء حتى ينتهي هذا العالم بما فيه.

وهذا مما جعل الأستاذ / سعيد حوى يقول : إن العالم بأي علم له علاقة بالقرآن يستطيع أن يرى في القرآن الحق الذي يعلو أن يكون مصدره بشرا فالعالم باللغة الدارك لأسرارها يري أن لغة القرآن ليست بيان بشر وأن ما في القرآن من أسلوب وبيان وبلاغة جل عن طريق البشر.

والعالم بالتاريخ المتثبت بما كان سواء قبل نزول القرآن أو بعده يرى أن ما فيه من خبر ليس مصدره البشر، والعالم بالكون يرى أن القرآن ليس من عند بشر إذ ما فيه من علم لم يكن ساعة نزوله معروفا، والعالم بالنفس وغرائزها وما يصلحها ويفسدها وما يرتفع بها أو يهبط يستطيع إدراك ربانية القرآن، والعالم بالكتب السماوية كالتوراة والإنجيل والزبور يدرك أن كتابا يحكم في أدق قضايا الخلاف بين أتباع هذه الديانات ليس مصدرها محمد الذي لم يسمع خبرا ولم

١- المعجزة والإعجاز د/ سعد الدين صالح ص ٢٠٤، ٢٠٥
٢- صورة فصلت الآية ٥٣

يقرأ كتابا ، ثم قال إن العالم يري وطالب العلم يري ، أما المتكبر أو الحاسد فإن هؤلاء لن يروا لأنهم ليسوا أهلا للرؤية([1]) .

ومن هنا نقول:

إن القرآن معجزة بلاغية روحية علمية جمع كل ما يحتاج إليه الخلائق في معاشهم و معادهم.

٢- المعجزات الحسية

لقد وقعت على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خوارق للعادات حسية واجتمع له ما لم يجتمع لنبى قبله وهذه الخوارق منها ما يدخل تحت المعجزة الاصطلاحية كالإسراء والمعراج وانشقاق القمر لأن التحدى وقع بها ومنها ما يعد تكريما للنبى صلى الله عليه وسلم وتثبيتا للذين أمنوا معه، وذلك كنبع الماء من بين أصابعه الشريفة وتكثير الطعام القليل وحنين الجذع وغير ذلك .

نسوق الآن بعض الخوارق التى يمكن لنا أن نستدل بها على إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

١- انشقاق القمر

لقد طلب الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاص بن وائل وغيرهم من المصطفى صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر فلقتين فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال لهم صلى الله عليه وسلم اشهدوا قال بعضهم رأيت الجبل بين فرجتى القمر قال كفار قريش حين رأوا هذه الآية سحركم ابن أبى كبشة فقال رجل منهم إن كان محمد سحر القمر فإنه لا يبلغ من

١- الرسول عليه الصلاة والسلام- الأستاذ/ سعيد حوى ح٢ ص٢١٢- ٢١٣ ط مكتبة وهبه- القاهرة ط ٤ سنة ١٣٩٧هـ

سحره أن يسحر الأرض كلها فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوا ؟ فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك فقالوا سحر مستمر فأوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

" اقتربت الساعة وانشق القمر *وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر " (١)

وهذا هو ما أخرجه البخارى فى صحيحه عن ابن مسعود رضى الله عنه وغيره: " انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين ، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا " . (٢)

هذه هى المعجزات الحسية لرسول الله والتى أنكرها بعض المبتدعة الموافقين لمخالفى الملة ولكن لا إنكار للعقل فيه لأن القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء كما يكوره يوم البعث ويفنيه .

ولقد قال بعض العلماء إن القرآن أشار إلى انشقاق القمر لكنه لم ينشق بعد و إنما انشقاقه يكون فى المستقبل يوم القيامة واستدل على ذلك بقوله إن التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى شائع فى البيان القرآنى كما فى قوله تعالى : " أتى أمر الله فلا تستعجلوه " . (٣)

نرد عليهم بما قال الشيخ حمزة فتح الله رحمه الله فى كتابه باكورة الكلام فى حقوق النساء فى الإسلام قال : (إن تأويل آياته بوضع المستقبل موضع الماضى لتحققه لا داعى إليه فضلا عن كونه

١- سورة القمر الآية ١-٢

٢- صحيح البخارى بشرح ابن حجر المناقب ج ٧ ص ٢٢١ وما بعدها المكتبة السلفية بالقاهرة ص٣ سنة ١٤٠٧ هـ

٣- سورة النحل الآية ١

خلاف الصحيح ،وقد ذكرت الجرائد الأجنبية مقالة قالوا فيها إنه عثر فى ممالك الصين على بناء قديم مكتوب عليه إنه فى عام كذا الذى وقع فيه حادث سماوى عظيم وهو انشقاق القمر نصفين فحرر الحساب فوافق سنة انشقاقه لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . (١)

٢- نبع الماء من بين أصابعه الشريفة :

ومن المعجزات نبع الماء من بين أصابعه الشريفة هذا هو ما رواه جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود وحديث ذلك يوم الحديبية وفى غزوة تبوك أمام الجموع الكثيرة ولم ينكر هذا الحديث أحد من الصحابة . (٢)

ففى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أنه قال أتى النبى بإناء وهو بالزوراء فوضع يده فى الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم – قال قتادة قلت لأنس كم كنتم قال ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة . (٣)

وعن انس بن مالك رضى الله عنه أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة العصر فالتمسوا الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإناء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فى ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضأوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا عن أخرهم . (٤)

١- محمد صلى الله عليه وسلم – محمد رضا ص ٣٨٣ دار الكتب العلمية بيروت، سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

٢- نفس المرجع السابق والصفحة

٣- صحيح البخارى ك المناقب ج ٧ ص ٦٧٢ نفس الطبعة السابقة

٤- نفس المرجع السابق ك الوضوء ج ٧ ص ٣٢٥

٣- تكثير الطعام القليل

ولقد تعددت روايات كثيرة فى هذا الشأن منها ما أخرجه البخارى بسنده عن جابر بن عبد الله أن أباه توفى وعليه دين فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إن أبى ترك عليه دين وليس عندى إلا ما يخرج نخلة ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه فأنطلق معى لكى لا يفحش على الغرماء فمشى حول بيدرمن بيادر التمر فدعى واحدا ثم أخر ثم جلس فقال انزعوه فأوفاهم الذى لهم وبقى مثل ما أعطاهم . (١)

ومنها ما روى عن جابر أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال : كنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت فى الخندق فقال أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق طعاما فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فى الكدية فعادت كثيبا أهيل أو أهيم فقلت يا رسول الله أتأذن لى إلى البيت فقلت لامرأتى رأيت بالنبى صلى الله عليه وسلم شيئا ما كان ذلك صبر ، أفعندك شئ ؟ فقالت عندى شعير وعناق وطحنت الشعير حتى جعلت اللحم بالبرمة ثم جئت النبى صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر، و البرمة بين الأثافى قد كادت أن تنضج فقلت طعيم لى فقم أنت يا رسول و رجل أو رجلان قال كم هو ؟ فذكرت له فقال كثير طيب قال قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى أتى فقال : قوموا فقام المهاجرون والأنصار ومن معهم قالت هل سالك ؟ قلت نعم فقال ادخلوا ولا تضاغطوا فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرب إلى

١- نفس المرجع السابق ك المناقب ج ٧ ص ٦٧٩

أصحابه ثم يكثر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقى قال كل هذا وأهد فإن الناس أصابتهم مجاعة ([1]).

٤- حنين الجذع

عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنه قال كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفى راوية أنس حتى ارتج المسجد لخوارة وفى رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا ما به وفى رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم ووضع يده عليه فسكت . ([2])

وهذه معجزات رسول الله الحسية والتى لو رحنا نتتبعها لما اتسع المقام ولا المقال ولكننا نكتفى بما ذكرناه ومن أراد المزيد فعليه بكتب السيرة النبوية التى سردت هذه المعجزات الحسية وفصلت القول فيها .

٣ - البشارات بنبوة سيدنا محمد :

أولا : فى القرآن الكريم :

لقد تضافرت آيات القرآن الكريم مؤكدة حقيقة البشارة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل ،وقد اتخذ البيان القرآنى أنماطا متعددة فى التعبير عنها نذكر من الآيات التى تعبر عن ذلك .

---

[1] - صحيح البخارى ك المغزى ج ٧ ص ٤٥٦ ، ٤٥٧

[2] - مناظرة بين الإسلام والنصرانية – جماعة من العلماء ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ والحديث فى صحيح البخارى ك الجمعة ج ٢ ص ٤٦١

١- قال تعالى : " ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقا لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين " . (١)

وفى سبب نزول هذه الآية ما روى عن ابن إسحاق عن عاصم بن عامر وابن قتادة عن رجال من قومه قالوا :إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه ما كنا نسمع من رجال يهود ، وكنا أهل شرك وأصحاب أوثان وكان أهل الكتاب عندهم علم ليس لنا ،وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ،فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا ، إنه تقارب زمان نبى يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فكنا كثيرا ما نسمع منهم ، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا إلى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به وفيهم نزل هذه القول . (٢)

ثم يقول الإمام الرازى فى قوله تعالى: " وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا " إن اليهود من قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن كانوا يسألون الفتح والنصر وكانوا يقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبى الأمي وكان أحبارهم إذا ذكروا محمدا فى التوراة وأنه مبعوث من العرب سألوا مشركى العرب عن تلك الصفات ليعلموا أنه ولد فيهم من يوافق حال هذا المبعوث . (٣)

١- سورة البقرة الآية ٨٩

٢- الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام - للإمام السهيلى ج ١ ص ٢٤٥ مؤسسة الفكر العربى مصر بدون تاريخ

٣- مفاتيح الغيب م ٢ ج ٣ ص ١٨٠ بتصرف

فهذا القول منهم يدل دلالة واضحة على أنهم عارفون بنبوته صلى الله عليه وسلم ولذلك نرى أن بعضا منهم قد أعلن إسلامه بمجرد اجتماعه بهذا النبى صلى الله عليه وسلم.

٢- قال تعالى : " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون " . (١)

وفى هذا التعبير تأكيد وضوح النبوة لسيدنا محمد وصدقه فى دعواه وتصديقه لما مع أهل الكتاب من بشارات ولكنهم يكتمون الحق الذى جاءهم من عند الله تعالى .

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " أنا اعلم به من ابنى قال ولم ؟ قال : لأنى لست أشك فى محمد فأما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رضى الله عنه رأسه" .(٢)

٣- قال تعالى : " الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل..." الآية (٣) فهذا نص صريح وعبارة قوية وصفة قاطعة بالبشارة برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل .

يقول الإمام الرازى: إن الحق سبحانه وتعالى بين فى هذه الآية أن هذت الرحمة لا يفوز بها من بنى إسرائيل من لحق منهم فى أيام النبى إلا إذا كان مع ذلك متبعا للنبى الأمى فى شرائعه ، وقوله تعالى " الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل " يدل على أن نعته وصحة

١- سورة البقرة الآية ١٤٦
٢- الكشاف للإمام الزمخشرى ج ١ ص ٣٢١
٣- سورة الأعراف الآية ١٥٦- ١٥٧

نبوته مكتوب فى التوراة و الإنجيل لأن ذلك لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله لأن الإصرار على الكذب والبهتان من اعظم المنفرات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قوله فلما قال ذلك دل هذا على أن ذلك النعت كان مذكورا فى التوراة والإنجيل وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته صلى الله عليه و سلم ([1]).

٤- قال تعالى : " وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين " .([2])

بهذه الآية نقول :القرآن الكريم حرص على تأكيد أن الرسول المبشر به فى التوراة و الإنجيل هو النبى العربى الهاشمى فذكره بالاسم ليقطع الطريق على الأدعياء ولتتضح الحقيقة لكل ذى عينين .

يقول الإمام الرازى فى تفسيرها :أى اذكروا أنى رسول الله أرسلت إليكم بالوصف الذى وصفت به فى التوراة ومصدقا بالتوراة وبكتب الله وبأنبيائه جميعا من تقدم ومن تأخر ، ومبشر برسول يصدق بالتوراة على مثل تصديقى وكأنه قيل له ما اسمه؟ فقال اسمه أحمد. ([3])

ثانيا :الكتب المتقدمة على القرآن الكريم

أما عن التوراة فمنها:ما جاء فى السفر الخامس جاء من الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران " ([4])

---

[1]- مفاتيح الغيب م ٨ ج ١٥ ص ٢٢ وما بعدها
[2]- سورة الصف الآية ٦
[3]- مفاتيح الغيب للإمام الرازى ج ٣٠ ص ٥١٥ دار الغد العربى
[4]- شرح المقاصد / للإمام سعد الدين التفتازانى ج ٥ ص ٤٢

ففى هذا النص إشارة واضحة إلى إنزال التوراة على موسى عليه السلام بسيناء والإنجيل على عيسى علية السلام بساعير ،حيث كان يسكن فى إحدى قراها وهى الناصرة ، والقرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم فى فاران وهى جبال مكة قبل العدن بميلين ونصف .

وهذا ما تؤكده التوراة حيث جاء فى سفر التكوين الإصحاح ٢١/١٧-٢١-أن الله تعالى قال لهاجر قومى أحملى الغلام أى إسماعيل وشدى يدك لأنى سأجعله أمة عظيمة وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى برية فاران .([1]) والمعروف تاريخيا وبالأدلة القطعية أن إبراهيم عليه السلام ترك هاجر و ابنه إسماعيل فى مكة فى واد غير ذى زرع والآية واضحة " ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم " الآية ([2])

ومنها ما جاء فى السفر الخامس أنه تعالى قال لموسى عليه السلام إنى مقيم لهم نبيا من بنى اخوتهم مثلك وأجرى قولك فى فيه ويقول لهم به والرجل الذى لا يقبل قول النبى الذى يتكلم باسمى فأنا أنتقم منه والمراد ببنى أخوة بنى إسرائيل بنو إسماعيل على ما هو المتعارف فلا ينصرف إلى ما بعد موسى من أنبياء بنى إسرائيل ولا إلى عيسى لأنهم لم يكونوا من بنى إخوانهم ولا إلى موسى لكونه صاحب شريعة مستأنف فيها بيان مصالح الدارين فتعين محمداً صلى الله عليه وسلم .([3])

---

[1]- قضايا عقدية د/ محمد الأنور ص ١٣٠ بدون طبع
[2]- سورة البقرة الآية ٣٧
[3]- شرح المقاصد ج ٥ ص ٤٢

ومنها ما جاء فى السفر الأول : أنه تعالى قال لإبراهيم عليه السلام إن هاجر تلد ويكون من ولدها من يده فوق الجميع مبسوطة إليه بالخشوع . ([١])

وأما فى الإنجيل فمنها: ما ورد فى الإصحاح الرابع عشر أنا أطلب لكم إلى أبى حتى يمنحكم ويعطيكم فارقليطا([٢]) يكون معكم إلى الأبد والفارقليط روح الحق واليقين .([٣])

وفى الخامس عشر وأما فارقليط روح القدس الذى يرسله أبى باسمي وهو يعلمكم ويمنحكم جميع الأشياء وهو يذكركم بما قلته لكم ثم قال و إنى قد أخبرتكم بهذا قبل أن يكون حتىإذا كان ذلك تؤمنوا به وقوله باسمى يعنى بالنبوة.([٤])

وفى الإصحاح السادس عشر يقول عيسى للحواريين : إنى لى أمور كثيرة أيضا ولكن لا تستطيعون الآن و أما متى جاء ذلك الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنة لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتيه ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم. ([٥])

وفى الزبور قوله (تقلد أيها الجبار السيف فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيئة يمينك وسهامك مسنونة و الأمم يخرون تحتك)

---

[١]- نفس المرجع والصفحة

[٢]- يقول التفتازانى – الفارقليط هو روح الحق واليقين – شرح المقاصد ج ٥ ص ٤٢ ويقول د/ الأنور – كلمة فارقليط كلمة يونانية تعنى بالعربية أحمد وهو اسم من أسماء النبى كما تعنى أيضاً روح الحق – قضايا عقدية د/ محمد الأنور ص ١٣٠

[٣]- شرح المقاصد – للتفتازانى ج ٥ ص ٤٢

[٤]- نفس المرجع السابق والصفحة

[٥]- إنجيل يوحنا الإصحاح ١٦/١٢-١٥ راجع قضايا عقدية ص ١٣٠ وما بعدها

وقوله : (قال داود اللهم ابعث جاعل السنة حتى يعلم الناس أنه بشريعتى ابعث محمدا حتى يعلم الناس أن عيسى بشر) .([1])

وأمثال هذا كثير فى كتب الأنبياء المتقدمين يذكرها المصنفون ولا يقدر المخالف على دفعها أو صرفها إلى ملك أو نبى آخر ولا على أن يكتمها .

وأما المشركون والنصارى والمجوس ومن يجرى مجراهم فإنهم ينكرون رسالة رسول الله(صلى الله عليه وسلم) بغيا منهم وحسدا من غير تمسك بشبهة صحيحة يعتمدون عليها فى تمسكهم .

ثالثا :- ما ورد فى السنة النبوية

١- ما روى عن عطاء بن يسار قال :لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت له اخبرنى عن صفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى التوراة فقال :أجل والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفتة فى القرآن :يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن أعفو ويعفو ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء أن يقولوا لا إله إلا الله وأفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا ، قال عطاء بن يسار ثم لقيت كعب الأحبار فسألته فما اختلف فى حرف إلا أن كعبا يقول: أعينا عمومى وآذانا صمومى وقلوبا غلوفى.([2])

---

[1]- شرح المقاصد ج ٥ ص ٤٣

[2]- أخرجه البخارى فى باب وصف النبى صلى الله عليه وسلم

٢- وعن أم الدرداء قالت :قلت لكعب الأحبار : كيف تجدون صفة رسول الله(صلى الله علية وسلم) فى التوراة ، قال نجده محمدا رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق أعطى المفاتيح ليبصر الله به أعينا عورا ويسمع به آذانا وقرا ويقيم ألسنة معوجة حتى يشهدوا أنه لا إله إلا الله وحدة لا شريك له يعين المظلوم ويمنعه . [١]

٣- عن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال ذكر وهب بن منبة أن الله عز وجل لما قرب موسى نجيا قال :رب إنى أجد فى التوراة أمة خير أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجلعهم أمتى قال تلك أمه أحمد قال : رب إنى أجد فى التوراة أمة هم الأخير من الأمم السابقة يوم القيامة فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال :رب أنى أجد فى التوراة أمة أناجيلهم فى صدورهم فاجعلهم أمتى : قال تلك أمة أحمد ... " [٢]

وهكذا نجد القرآن يبشر برسول الله محمد وكذا الكتب المتقدمة عليه وكذا السنة النبوية وكل هذه البشارات تثبت نبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) .

٤- شهادة الأعداء بحسن سيرته (صلى الله عليه وسلم) لقد حقق سيدنا محمد(صلى الله عليه وسلم) فى حياته الخاصة والعامة المثل الأعلى والقدوة الحسنة والسيرة العطرة ، وحرص المسلمون على تسجيل وقائع هذه الحياة الشريفة على كل حال فى المدخل والمخرج فى الحضر والسفر فى السلم والحرب فى اليقظة والنوم

---

[١]- البداية والنهاية لابن ــ ج ١ ص ٧٨
[٢]- نفس المرجع السابق والصفحة

بالكلمة والفعل والموقف وقام علماء إجلاء بالبحث والتمحيص فى السيرة العطرة وكتبوا كتابات قيمة سجلت تلك الحياة النبوية بأكملها وشهد بصحتها أعداء الإسلام ، وهذا ما لم يحدث لعظيم من عظماء البشرية قاطبة .

ونحن المسلمون نفاخر الدنيا كلها بتلك السيرة الصادقة الصحيحة لسيدنا محمد (صلى الله علية وسلم) والتى اعترف بها الأعداء وسلم بها الخصوم ونالت التقدير والإعجاب من كل الباحثين على اختلاف مللهم .([١])

والإنسان الذى يشك فى تلك السيرة أدنى شك إما أن يكون فى قلبه مرض وإما أن يكون صاحب هوى وعصبية عمياء لذلك يقول الشيخ عبد الله نعمه : إن أى إنسان مفكر مجرد من الهوى والعصبية حين يعى هذه الخصائص لا يستطيع إلا أن يتخذ من دعوة صاحبها موقفا إيجابيا أو على أدنى الافتراضات لا يمكنه اتخاذ موقف سلبى منها يتسم بالرفض إلا أن يكون منحرف التفكير مريض القلب .([٢])

ومع ذلك نجد أن خصوم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شهدوا له بحسن الخلق وشهادة الخصوم فى هذا المقام لها وزنها الكبير إذ تدل على مبلغ الثقة التى كان يتمتع بها رسول الله (صلى الله عله وسلم) قبل البعثة ثم بعد البعثة وتعد من أعظم الأدلة على إثبات نبوته (صلى الله علية وسلم)

---

[١]- فى نور العقيدة الإسلامية د/ المسير ص١٤٢

[٢]- عقيدتنا – الشيخ عبد الله نعمة ص ٢٨٤ مؤسسة عز الدين بيروت ط١ سنة ١٤٠١ هـ

هذا ...وقد أثبتت لنا الكتب الصحيحة وغير الصحيحة هذه الاعترافات وذلك منذ مهد تاريخ الإسلام ورسول الإسلام (صلى الله عليه وسلم)

من بين هذه الاعترافات :ما رواه البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية " وأنذر عشيرتك الأقربين " ([١]) خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى صعد الصفا فهتف يا صحباه وفى رواية أخرى فجعل ينادى يا بنى فهر يابنى عدى يا بنى كذا ...فقالوا من الذى يهتف ؟ قالوا محمد فاجتمعوا إليه فقال أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟ قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قط قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك يا محمد ألهذا جمعتنا ، فنزلت هذه السورة : " تبت يدا أبى لهب وتب ... ([٢]) " ([٣])

وهكذا كانت شخصية رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وعظم أخلاقه وكرم معاشرته أحد العوامل الرئيسية فى نجاح دعوته بل إن الذين أسلموا فى أوائل العهد المكى لم يكن يجذبهم لهذا الدين الإسلامى الجديد إلا يقينهم الكامل بصدق صاحب الدعوة إليه.

إن من ادعى النبوة وكان صادقا فهو أفضل خلق الله تعالى وأكملهم فى الدين والعلم إذ لا شك أن رسل الله وأنبياءه هم افضل الناس واعدل الناس وابر الناس واهدى الناس .

---

[١]- سورة الشعراء الآية ٢١٤
[٢]- سورة المسد كاملة
[٣]- صحيح البخارى ج ٨ ص٥٠١ ومسلم ج ١ ص ١٩٤ ومسند الإمام أحمد ج١ ص٢١٨

أما من ادعى النبوة وكان كاذبا فهو من أكفر خلق الله وأفجرهم فالكذب أصل الشر وأعظم الكذب ما كان على الله تعالى والصدق اصل الخير وأعظمه الصدق فى التبليغ عن الله تبارك وتعالى .

وهذا المعنى يعرفه العقلاء من بنى الإنسان وتعرض له هرقل عظيم الروم فى المناقشة التى تمت بينه وبين أبى سفيان .([١])

فمن بين فقراتها ما قاله هرقل لأبى سفيان : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقال لا فقال هرقل : فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يكذب على الله .([٢])

وهكذا كان الاعتراف بصدق رسول الله وحسن سيرته أثناء عصره وأثناء مشاهدة أفعاله و أقواله وحركاته .

أما إذا جاء الاعتراف بذلك من الذين لم يعاصروا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يعاصروا أصحابه الإجلاء الذين نهجوا نهجه فيكون أكثر صدقا وأصالة مما سبق من ذلك على سبيل المثال ما قاله -ول ديورانت -صاحب الموسوعة التاريخية قصة الحضارة يقول :وإذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر فى الناس قلنا إن محمدا كان من أعظم عظماء التاريخ ،فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحى والأخلاقي لشعب ألقى به فى دياجير الهمجية وحرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح فى تحقيق هذا الغرض نجاحا لم يدانيه فيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله.([٣])

١- راجع هذه المناقشة كاملة فى هذا البحث ص ٢٥

٢- مناظرة بين الإسلام والنصرانية – مجموعة من رجال الفكر من الديانتين ص ٢١٦ ط دار الحرمين للطباعة – مصر

٣- النبى محمد صلى الله عليه وسلم – أ/ عبد الكريم الخطيب ص ٩٤ ط دار الفكر العربى

ويقول – سبورت سميث –إن محمدا لمؤسس أمة ومملكة وهداية وهذا أمر لم يوجد له سبق من قبل ولن يوجد وهو أمى لا يعرف القراءة والكتابة ،وقد جاء بكتاب مشتمل على دستور الشرائع والعبادات وأخبار الأمم وهو نفى العبارة من الألفاظ المستهجنة باهر الحكمة والحقائق وهو معجزة له والحق يقال إنه معجزة . ([1])

وهكذا لم يستطع أعداء الإسلام قديما فى عصر الرسول وحديثا فى هذا العصر الذى نحن بصدده ،أن ينكروا جميعا صدق رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) وعظمته أوان يحجبوا عن أبصارهم أضواء هذه الحقيقة .

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب ،ولقد شهد أعداء الإسلام لرسول الله (صلى الله علية وسلم) بأنه واحد من آحاد العظماء فى تاريخ الإنسانية ،ورائد من روادها ومصلح من مصلحيها ولكن الذى يأباه هؤلاء الأعداء قديما أيضا وحديثا أتباعه ،والإيمان به ،وأن يكون متصلا بالسماء متلقيا عن الله الرسالات السماوية التى يدعو الناس إليها. ([2])

وفى النهاية نقول إن هذه الأخلاق مجتمعة لا تكون إلا لنبى مصطفى اصطفاه الله تعالى وأعانه على تحمل أمانة التبليغ عنه إلى خلقه .

يقول الإمام التفتازانى ،اجتمع فيه (صلى الله عليه وسلم) من الأخلاق الحميدة والأوصاف الشرعية والسير المرضية والكمالات

---

[1]- نفس المرجع السابق ص ٩٨

[2]- النبى محمد صلى الله عليه وسلم أ/ عبد الكريم الخطيب ص ٧٩

العلمية والمحاسن الراجعة إلى النفس والبدن والنسب والوطن ما يجزم العقل بأنه لا يجتمع إلا لنبى . ([1])

٥- سرعة انتشار دعوته صلى الله عليه وسلم.

مما يستدل به على إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سرعة دعوته فى أمد قصير بلغ سلطانه شرقا وغربا .

وهذا ما يذكره صاحب المقاصد حيث يقول : إنه انتصب مع ضعفه وفقره وقلة أعوانه وأنصاره حربا لأهل الأرض آحادهم وأوساطهم واكاسرتهم وجبابرتهم فضلل أراءهم وسفه أحلامهم وأبطل مللهم وهدم دولهم وظهر دينه على الأديان وزاد على مر العصور والأزمان وانتشر فى الآفاق والأقطار وشاع فى المشارق والمغارب من غير أن تقدر الأعداء مع كثرتهم فى العدد والعدة وشدة شوكتهم وشكيمتهم وفرط حميتهم وعصبيتهم وبذلهم غاية الوسع فى إطفاء أنواره و طمس آثاره على إخماد شرارة من ناره فهل يكون ذلك إلا بعون إلهي وتأييد سماوى . ([2])

وليس الأمر قاصراً على قول الإمام التفتازانى ،بل إن أعداء الإسلام قد شهدوا للإسلام بذلك فها هو المفكر الغربى – ديستون – يقول : فى القرنين الخامس والسادس كان العالم المتمدين على شفا جرف هار من الفوضى لأن العقائد التى تعين على إقامة الحضارة قد انهارت ولم يك ثم ما يعتد به مما يقوم مقامها وكان إذ ذاك أن المدينة الكبرى التى تكلف بناؤها جهود أربعة آلاف سنة مشرفة على التفكك والانهيار ، وأن ترجع ثانية إلى ما كانت عليه من الهمجية إذ القبائل

---

[1]- شرح المقاصد ج ٢ ص ١٣٩

[2]- شرح المقاصد – للإمام سعد الدين التفتازانى ج ٢ ص ١٣٩

تتحارب وتتشاجر فلا قانون ولا نظام وكانت المدينة كشجرة ضخمة متفرعة امتد ظلها إلى العالم واقفة تترنح وقد تسرب إليها العطب حتى اللباب .([١])

وقد أشار إلى ذلك-ول ديورانت-حيث قال:(ولما بزغ فجر محمد أشرقت شمس الإسلام وكان رحمة للعالمين وكانت رسالته عهدا زاهرا فى تاريخ البشر ،وأحدث الإسلام تطورا مدهشا فى العقول والأفكار وفى المجالات الأخرى ،وكان له الأثر البالغ فى توعية المجتمع البشرى ورفعه إلى معارج الترقى فى الفكر المادى . ([٢])

وهكذا....استدل مفكروا الإسلام ومفكروا الغرب الذين لا يعقلون الإسلام استدل كلاهما على نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بسرعة انتشار دعوته فى مشارق الأرض ومغاربها فى مدة قليلة .

وانتشار الرسالة المحمدية فى جميع البلاد فى هذه المدة القليلة يجعلنا نشير إلى أن سرعة انتشار هذه الدعوة يدل على عموم رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو ما سنتناوله فى الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى .

المنكرون لنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

المنكرون لنبوة رسولنا الأعظم (صلى الله عليه وسلم) طائفتان:

الطائفة الأولى :-تقول بنبوته (صلى الله عليه وسلم) إلا أنها تخصص هذه النبوة وهم جماعة من اليهود .([٣])

---

[١]- أصول العقيدة – السيد نهدى الصدر ج ٢ ص ٢٧١ ط دار الزهراء – بيروت

[٢]- نفس المرجع السابق

[٣]- ونتناول بالحديث عن هذه الطائفة بالتفصيل عقب الحديث عن عموم رسالة سيدنا محمد صلى الله علية وسلم حيث إن هذه الطائفة لا تنكر رسالته ولكن تنكر عموميته

الطائفة الثانية :- تقول باستحالة رسالة محمد وهم جماعة من اليهود والنصارى ولكل منهم شبهة نرد عليها .

١-اليهود:

هؤلاء يقولون باستحالة رسالة محمد لأنه لو جاز القول بنبوته لجاز نسخ دين موسى عليه السلام ، ونسخ دين موسى محال لوجهين :

الوجه الأول :- أنه تعالى إذا نسخ دين موسى بدين لاحق فإما أن ينسخه لا لغاية ولا لهدف ويكون ذلك عبثا والعبث عليه تعالى محال فما أدى إليه فهو محال إذن النسخ محال .

وأما أن ينسخه لمصلحة وهدف وغاية ،وهذه المصلحة إذا لم يكن عالما بها ثم علمها فيكون جاهلا والجهل عليه محال أو يكون عالما بها ثم ظهر له أن يطورها أويغيرها فهو بداء والبداء يحمل فى طياته معنى الجهل والتردد فهو محال على الله تعالى .

ومع استحالة الجهل والبداء على الله تعالى يستحيل ما أدى إليهما وهو القول بالنسخ ، ومع استحالة النسخ تكون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم مستحيلة

نرد على هذا الوجه فنقول لهم :

ماذا تقولون فى شريعة موسى هل نسخت ما قبلها أم لا ؟فإن قالوا لا فقد كذبوا ،لأن الثابت أن آدم عليه السلام زوج بناته من بنيه ، وقد حذر موسى من هذا الزواج واختتن إبراهيم عليه السلام فى الكبر وأوجبه موسى فى الصغر، وكان من الجائز الجمع بين الأختين فى شرع يعقوب وحرم موسى هذا الجمع وعلى ما ذكرتموه يقتضى ألا

تضيفوا هذه الشريعة إلى موسى ولا تنسبوها إليه وفى ذلك خروج عن اليهودية والمعلوم من حالكم أنكم تضيفون هذا الشرع إلى موسى عليه السلام .([1])

وإن قالوا نعم قد أتى موسى بنسخ شرائع من قبله من الأنبياء ولا بد من ذلك .

قلنا: هلا اقتضى انقلاب الحق باطلاً والباطل حقا وهلا اقتضى أن يكون قد بدا لله وظهر له من حال تلك الشرائع ما كان خافيا ؟ تعالى الله عن ذلك .([2])

ثم يقول القاضى: أليس كان لا يلزمنا اعتقاد نبوة موسى عليه السلام قبل أن يبعث ثم لزمنا بعد البعثة ؟ ولم يقتض أن يكون الحق قد صار باطلا والباطل صار حقا . ([3])

وهكذا ، فكل ما يمكن أن يقال فى نسخ شريعة محمد وعيسى عليهما السلام يمكن أن يقال فى شريعة موسى عليه السلام سواء فيما يتعلق بانقلاب الحق باطلا والباطل حقا أو جواز البداء على الله تعالى .

وهذا إلزام لهم ، وإلا فالنسخ يقتضى انقلاب الباطل حقا والحق باطلا والقول بالنسخ يترتب علية البداء المذكور .([4])

وبجوابهم يكون قد أبطلوا قولهم باستحالة النسخ وإذا بطل القول باستحالة النسخ ثبت القول بالجواز. ([5])

---

[1]- شرح الأصول الخمسة – القاضى عبد الجبار ص ٥٧٩ وراجع إظهار الحق – الشيخ رحمت الله المهتدى ج٣ ص ٦٦٥ وما بعدها

[2]- نفس المرجع السابق

[3]- نفس المرجع السابق

[4]- قضايا النبوات د/ محمود عبد المعطى بركات ص ١٥٠

[5]- شرح الأصول الخمسة ص ٥٧٩

وعلى هذا فالنسخ جائز وهو لغاية ولهدف ولمصلحة والأهداف والمصالح والغايات تتجدد بتجدد الأماكن والأزمان والبشر فحالة البشرية مع بدء خلقها مثل حالة الطفل الرضيع فكما أن الطفل لا يصلح له من الأطعمة إلا اللبن وكلما تقدم به العمر تغير ما يصلح له فهو إذا كبر وأصبح شابا يافعا وقويت معدته صارت مصلحته فى أن يعطى ألوانا كثيرة من الأطعمة.

وهكذا البشرية خلقها الله سبحانه وتعالى وعلم أزلا ما يصلح لها من شأنها فى بدء وجودها ، وهو يعلم بعلمه الشامل أزلا ما يتناسب مع كل مرحلة من مراحل وجودها ،فعلمه سبحانه وتعالى محيط أزلا بكل شئ فهو سبحانه وتعالى يعلم ما متى سيكون ؟وكيف يكون؟ وإلى متى يستمر وجوده؟ ومتى يعدم ؟ ولا تجدد فى علمه الأزلى وإنما المتجدد بعلمه الأزلى هو الأحكام الشرعية التى تتناسب مع التطور الحادث فى البشرية بقدرته تعالى . (١)

هذا ويمكن بطلان ما قاله اليهود بتعريف النسخ، فالنسخ هو عبارة عن الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت المشروط استمراره بعد لحرق خطاب برفعه.(٢)

وهو أيضا الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بخطاب آخر لولاه لا يستمر الحكم المنسوخ ،ومن ضرورة ثبوت النسخ على التحقيق رفع حكم بعد ثبوته.(٣)

١- قضايا عقدية د / محمد الأنور ص ١٣٦ - ١٣٧

٢- الاقتصاد فى الاعتقاد - الغزالى ص ١٢٨ ط دار الكتب العلمية - بيروت

٣- الإرشاد للإمام الجوينى ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ط مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت

ولقد ذكر الإمام الغزالى مثلا ليوضح تعريفه السابق فقال : ليس من المحال أن يقول السيد لعبده قم مطلقا ولا يبين له مدة القيام ، وهو يعلم أن القيام مقتضى منه إلى وقت بقاء مصلحته فى القيام ، ويعلم مدة مصلحته ولكن لا ينبه عليها ويفهم العبد أنه مأمور بالقيام مطلقا وأن الواجب الاستمرار عليه أبدا إلا أن يخاطبه السيد بالقعود فإن خاطبه بالقعود قعد ولم يتوهم بالسيد أنه بدا له أو ظهرت له مصلحة كان لا يعرفها والآن عرفها بل يجوز أن يكون قد عرف مدة مصلحة القيام وعرف أن الصلاح فى أن ينبه العبد عليها ويطلق الأمر له إطلاقا حتى يستمر على الامتثال ،ثم إذا تغيرت مصلحته أمره بالقعود .

فهكذا ينبغى أن يفهم اختلاف أحكام الشرائع فإن ورود النبى ليس بناسخ الشرع من قبلة بمجرد بعثته ،ولا فى معظم الأحكام ،ولكن فى بعض الأحكام كتغيير قبلة وتحليل محرم وغير ذلك ،وهذه المصالح تختلف بالإعصار والأحوال فليس فيه ما يدل على التغير ولا على الاستبانه بعد الجهل ولا على التناقض ، ثم هذا إنما يستمر لليهود إذ لو اعتقدوا أنه لم يكن شريعة من لدن آدم إلى زمن موسى لم ينكروا وجود نوح وإبراهيم وشرعهما ،ولا يتميزون فيه عمن ينكر نبوة موسى وشرعه وكل ذلك إنكار ما علم على القطع بالتواتر.([1])

ويذكر السيد الشريف تعريفا للنسخ فيقول و فى الشرع تحفظ وهو أن يرد دليل شرعى متراخ عن دليل شرعى مقتضيا خلاف حكمه فهو تبديل بالنظر إلى علمنا وبيان لمدة الحكم بالنظر إلى علم الله تعالى.([2])

---

[1]- الاقتصاد فى الاعتقاد – الغزالى ص ١٢٨ دار الكتب العلمية –بيروت
[2]- التعريفات – الجرجانى ص ٢٤٠ دار الكتب العلمية – بيروت

فالله هو الذى شرع الحكم الأول وهو يعلم - عز وجل - أن هذا الحكم هو مصلحة للبشر إلى وقت كذا فإذا جاء الوقت الذى يعلمه الله فإنه يرفع هذا الحكم بآخر مناسبا لفترة أخرى من حياة البشر والقول بالجهل أو البداء إنما يصح إذا كان له علم بشئ لم يعلمه أو يبدو له أمر غير الذى فعله .([1])

أما إذا كان عالما بكل شئ وهذا هو الصحيح - يقول سبحانه وتعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) ([2]) ويقول (عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) ([3]) ويقول (إنا كل شئ خلقناه بقدر)([4]) ويقول(وخلق كل شئ فقدره تقديرا)([5]) إذا كان كذلك فلا جهل ولا بداء.

والجهل والبداء جائز فى حقنا نحن البشر ،فأنا الذى كنت أجهل كثيرا عن الإمام الرازى مثلا ومع الزمن علمت الكثير عنه وأنا يبدو لى أن أصلى الظهر بمسجد الأزهر ثم أغير اتجاهي وأصلى فى مسجد الحسين ،وهكذا يكون ابن آدم يجهل ثم يعلم .

أما الله تعالى فإن علمه وسع كل شئ كما تقدم فلا يجوز أن نقول بالجهل أو بالبداء فى حقه ثم نقول علم الله تعالى متعلق بالمعلومات على ما هى عليه والتجدد الدائم هو فى الأحكام لا فى علم الله .([6])

---

[1]- قضايا عقدية د/ محمد الأنور ص ١٣٨
[2]- سورة الأنعام الاية ٥٩
[3]- سورة الرعد الاية ٩
[4]- سورة القمر الآية ٤٩
[5]- سورة الفرقان الآية ٢
[6]- راجع قضايا عقدية د/ محمد الأنور ص ١٣٨

فقد علم أزلا أنه فى وقت كذا سيرسل موسى إلى بنى إسرائيل بأحكام تتناسب مع طبيعتهم وزمانهم ،وهذه الأحكام ترفع بعض الأحكام السابقة لأنبياء سابقين وعلم أزلا أنه سيرسل عيسى إلى بنى إسرائيل ليصلح ما أفسدوه وسيرسل محمدا صلى الله عليه وسلم ليكمل للناس دينهم ويحلل لهم ما كان محرما فبل ذلك وينسخ لهم بعض الأحكام الثابتة بأحكام أخرى جديدة . ([١])

ثم إن البداء هو الظهور بعد الخفاء ولا شئ عليه سبحانه والبداء أيضا : ورود الامر بعد النهى والنهى بعد الامر مثاله : أن يقول أحدنا لغلامه إذا زالت الشمس ودخلت السوق فاشتر اللحم ثم يقول له إذا زالت الشمس ودخلت السوق فلا تشتر اللحم ،وإنما يسمى بداء لأنه يقتضى أنه قد ظهر من حال اشتراء اللحم ما كان خافيا عنه من قبل .([٢])

الوجه الثانى من أوجه استحالة النسخ :

يقولون :إن موسى عليه السلام قد نص صراحة على دوام دينه بقوله تمسكوا بالسبت ما دامت السموات و الأرض (وهذا الكلام فيه إشارة واضحة إلى دوام اليهودية حتى قيام الساعة ([٣])

ويقولون أيضا: موسى عليه السلام قال "عليكم بدينى ما دامت السموات والأرض " ([٤])

---

[١]- نفس المرجع السابق
[٢]- شرح الأصول الخمسة ص ٥٨٤ وما بعدها
[٣]- شرح المقاصد ج ٥ ص ٤٤ بتصرف
[٤]- قضايا عقدية د/ محمد الأنور ص ١٤١

ولما كان موسى رسولا باعتراف الجميع، والرسل معصومون من الكذب و قد قال هذا فيلزم تصديقه فيما قال يدل تصديقه فى أقواله دوام دينه و استمراره و استحالة نسخه ومع هذه الاستحالة تستحيل رسالة عيسى و محمد عليهما السلام .

نرد عليهم بما يلى :

١- من المعروف أن اليهود قبل بعثة رسول الله محمد كانوا يتوقعون مجئ رسول من العرب و هذا هو ما أكده القرآن الكريم و أكدته التوراة الصحيحة .

ففى القرآن : " و لما جاءهم كتاب من عند الله مصدقاً لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين " .(١)

وفى التوراة : " جاء الله من طور سيناء وأشرق من سعير

واستعلن من جبال فاران " . (٢)

٢- إن موسى عليه السلام لم يقل هذا الكلام ولو قاله لنقل بالتواتر ولكان أول من يعلمه و يحافظ عليه ويجادل به ، هم اليهود الذين كانوا فى عصر رسول الله محمد وقت أن بعث ، والذى يؤكد ذلك هو ما نعلمه عنهم فهم كانوا فى غاية الغيظ من رسولنا الأعظم محمد و كانوا حريصين كل الحرص على إثبات كذبه فلو كان معهم هذا القول لعارضوا به رسول الله محمداً و لطعنوا فى شرعه و لقالوا له كيف تدعى أنك رسول ونبينا موسى قال كذا وكذا وما قاله إلينا بالتواتر، فلما

١- سورة البقرة الآية ٨٩

٢- شرح المقاصد ج ٥ ص ٤٢

لم يفعلوا مع حرصهم الشديد على التكذيب وحقدهم على محمد ﷺ ، دل ذلك على أنهم لا يعلمون من ذلك شيئاً .

ولهذا قال الإمام التفتازانى ، إنه افتراء على موسى عليه السلام ودعوى التواتر مكابرة و لو صح لما ظهرت المعجزات على عيسى أو محمد ولأظهروه فى زمانهما احتجاجا عليهما ولو أظهره لاشتهر لتوافر الدواعى على أنه كثير ما يعبر بالتأكيد فالدوام عن طول الزمان([1])

٣- إن هذه الأقوال فى الحقيقة ، و المنسوبة ظلماً و كذباً إلى موسى عليه السلام هما من اختلاف أحمد بن يحيى المشهور بابن الراوندى([2])

يقول الإمام الغزالى : إن هذه الشبهة إنما لقنوها بعد بعثة نبينا محمد ﷺ و بعد وفاته ، ولو كانت صحيحة لاحتج اليهود بها و قد حملوا بالسيف على الإسلام ، و كان رسولنا عليه السلام مصدقاً بموسى و حاكماً على اليهود بالتوراة فى حكم الرجم وغيره ([3]) فلا اعتراض عليه من التوراة ذلك لو كان لكان مفحماً لا جواب عنه و لتواتر نقله ، ومعلوم أنهم لم يتركوه مع القدرة عليه و لقد كانوا يحرصون على الطعن فى شرعه بكل ممكن حماية لدمائهم و أموالهم

---

[1]- شرح المقاصد ج ٥ ص ٤٥

[2]- ابن الراوندى هو فيلسوف متكلم كان على مهب المعتزلة ثم جاهر بالإلحاد وقد وضع كتباً فى قدم العالم وفى الصانع والطعن على الرسول- توفى سنة ٢٩٣هـ ، مع ملاحظة أن الخياط قد رد على أكاذيبه فى كتاب سماه الانتصار والرد على ابن الراوندى - راجع الأعلام للزركلى ج ١ ص ٢٦٧ ط دار العلم للملايين - بيروت

[3]- انظر صحيح البخارى ج ٦ ص ٧٢٩ ط دار الريان للتراث

ونسائهم فإذا ثبت عليهم نبوة عيسى أثبتنا نبوة نبينا عليه السلام على النصارى ([1])

ويقول الآمدى : هذا القول من وضع ابن الراوندى ليعارض به دعوى الرسالة من محمد ﷺ ويدلل على ذلك بأن أحبارهم الذين كانوا أعرف بالتوراة ككعب وابن سلام ووهب لم يذكروه و لو كان صحيحاً لكان أقوى ما يتمسكون به فى زمن النبى ﷺ ([2])

ويقول ابن حزم : إن هذا القول كذب موضوع ليس فى التوراة شئ منه ([3])

ويؤيد ذلك أنه لم يظهر فى زمن عيسى عليه السلام فلو كان فى التوراة نص لا يقبل التأويل يفيد ذلك لكان أولى أن يظهر فى زمن عيسى و عصر رسول الله محمد ولو أظهروه لثبت ذلك لتوافر الدواعى على نقله فلما كان الأمر ليس كذلك فاستبان أن ذلك اخترعه نابغتهم ([4])

ثانيا : النصارى

أما النصارى فقد حرصوا على إثبات النسخ حتى تصح رسالة عيسى عليه السلام ، إلا أنهم أنكروا رسالة سيدنا محمد ﷺ ودليل إنكارهم متمثل فى قولهم إن أى رسول لابد له من دليل يدل على

---

[1]- الاقتصاد فى الاعتقاد- للغزالى ص١٢٨-١٢٩ - دار الكتب العلمية - بيروت

[2]- أبكار الأفكار - الامدى ج ٢ ص ١٦٧ - دار الكتب المصرية

[3]- الفصل لابن حزم ج ١ ص ٨٦

[4]- الإرشاد / للإمام الجوينى ص ٣٤٤ وراجع فى ذلك كتاب إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندى ج ٣ ص ٦٥٥ - ٦٦٦ ط دار الحديث - القاهرة وكتاب الأربعين للإمام الرازى ج٢ ص١٠٨-١١٤ ط مكتبة الكليات الأزهرية وقضايا النبوات د/ محمود بركات ص١٤٨-١٥٩ط دار الهدى

صدقه وهذا الدليل هو المعجزة التى يظهرها الله على يديه ، فلقد أتى موسى وعيسى بمعجزات من عند الله أما محمد فلم يأت بأى معجزات فهو إذن ليس برسول وما يقال إن معجزاته هو القرآن ، فالقرآن ليس بمعجز إذ يحتمل ان محمدا كان أبلغ القوم وأفصحهم ، كما يحتمل أنه عورض لكن كثرة المسلمين وخوف سيفهم منع الناس من إظهار المعارضة ، أو أن المسلمين أنفسهم أخفوا المعارضة أو أن المعارضة اندثرت بفعل الزمن ، كما يحتمل أنهم قادرون على المعارضة إلا أنهم آثروا السيف ورأوا أنه أنجح فى القضاء على محمد و دعوته ، كما يحتمل أن انشغال العرب بقتال محمد لم يترك لهم الفرصة لمعارضته([1])

ونرد عليهم فنقول :-

إن رسول الله محمد ﷺ ظهرت على يديه الكثير من المعجزات الحسية و العقلية و التى تفوق فى عددها و خلودها و كثرة النقلة لها مع صدق كل واحدة منها ([2])

ثم إنه لا معنى للمعجزة إلا ما يظهر على يد الرسول من أمور خارقة للعادة و يكون الظاهر مقارنا لدعوى النبوة و يتحدى الرسول القوم أن يأتوا بمثل ما أتى به ثم يعجزون عجزا كاملا عن المعارضة([3])

وهذا هو ما فعله الرسول ﷺ فلقد ظهرت على يديه المعجزة الكبرى وهو القرآن الكريم وتحدى به العرب وهم أهل الفصاحة

[1]- قضايا عقدية د/ محمد الأنور ص١٤٣-١٤٤

[2]- نفس المرجع السابق

[3]- نفس المرجع ص١٤٤-١٤٥

والبلاغة ، وتحداهم ﷺ على أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا ، فبعشر سور من مثله فلم يستطيعوا ، فبسورة واحدة فلم يستطيعوا .

وعلى فرض صحة ما احتجوا به فالقرآن و الحمد لله محفوظ فى صدورنا وفى كتاب مقروء فليأت النصارى ويتعرضوا له الآن والنتيجة معروفه منذ أربعة عشر قرناً (قل لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (١)

ولهذا يقول الإمام الغزالى : لا يمكن إنكار تحديه بالقرآن و لا يمكن إنكار اقتدار العرب على طريق الفصاحة ، ولا يمكن إنكار حرصهم على دفع نبوته بكل ممكن حماية لدينهم ودمهم ومالهم وتخلصاً من سطوة المسلمين و قهرهم ولا يمكن إنكار عجزهم لأنهم لو قدروا لفعلوا فإن العادة قاضية بالضرورة بأن القادر على دفع الهلاك عن نفسه يشتغل برفعه ولو فعلوا لظهر ذلك ونقل . (٢)

ويقول الشيخ محمد عبده : إن هذا الخارق قد دعا الناس إلى النظر فيه بعقولهم و طولبوا بأن يأتوا فى نظرهم على آخر ما تنتهى إليه قوتهم فإن وجدوا طريقا لإبطال إعجازه أو كونه لا يصلح دليلاً على المدعى فعليهم أن يأتوا به و أنه شامل و كامل لأمور المعاش و المعاد و بعيد عن التناقض بقول الله تعالى : " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا(٣) " (٤)

١- سورة الإسراء الآية ٨٨

٢- الاقتصاد فى الاعتقاد – الغزالى ص١٢٩

٣- سورة النساء الآية ٨٢

٤- الإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده ص٥٠ مكتبة صبيح سنة ١٩٥٤م

وما يقولونه من أن القرآن من جنس كلام العرب و أن محمدا قد كان أبلغ القوم و أفصحهم وهو بهذا متفوق عليهم .

فيرد عليهم بأنه مع التسليم بذلك فإن الفصاحة و البلاغة تأتى بالتعليم والتعلم، مع الاستعداد الفطرى ومهما بلغ الإنسان فيهما فإنه لا يخرج عما يقدر عليه غيره من البشر، أى أن غيره من أهل البلاغة و الفصاحة يستطيع بإجادة الاكتساب أن يعارض مثل ما كان يحدث بين الشعراء و الخطباء .([1])

أما ما أتى به النبى ﷺ من القرآن الكريم فهو كما قال الإمام الباقلانى قد خرج عن حد ما يكتسب بالحذق وعجز القوم عن معارضته ومقابلته مع إيثارهم لذلك ، واجتماع هممهم له وتوافر دواعيهم عليه([2]) فدل على أنه من عند الله و ليس من جنس ما يقدرون عليه .

أما قولهم بأن كثرة المسلمين و خوف سيفهم منع القوم من إظهار المعارضة

هذا القول مردود بما علم يقينًا عن طريق التواتر ان المسلمين كانوا قله ضعيفة و ظلوا كذلك على مدى ثلاثة عشر عاما مدة الدعوة فى مكة .

يقول الدكتور/ الأنور: ومع افتراض كثرة المسلمين بعد الهجرة وازدياد قوتهم فإن الخوف مهما اشتد لا يمنع من المعارضة وانتقالها

---

[1]- قضايا عقدية د/ محمد الأنور ص١٤٦

[2]- التمهيد – الباقلانى ص١٧٠ تحقيق الشيخ/ عماد الدين أحمد حيدر ط مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ط ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م

سراً إلى البلدان القريبة و النائية و بخاصة أن المعارضة المطلوبة هى كلام يمكن حفظه فى الصدور ([1])

وأما قولهم أنهم قدروا على المعارضة إلا أنهم لجأوا إلى السيف لاعتقادهم أنه انجح فى القضاء على محمد ودعوته .

نرد عليهم فنقول إن قولهم هذا مردود بمحاولاتهم اليائسة مع عجزهم المستمر وهذا هو ما يؤكده الإمام الباقلانى بقوله لو كان فى قدرة القوم التكلم بمثل القرآن لأتوا به مع نصب الحرب كما أنهم كانوا يأتون مع ذلك بالشعر و الزجل والخطابة والرسائل وكل ما هو فى طباعهم وفى ترك ذلك دليل على بطلان ما قلتم ([2])

وأما قولهم بأن انشغالهم بالحرب ضد محمد صرفهم عن المعارضة .

نرد عليهم فنقول :إن هذا قول لا معنى له ،وذلك لأن الفترة المكية لم يكن فيها أى حرب بينهم وبين محمد (صلى الله عليه وسلم) ولم يتوقف فيها التحدى وطلب المعارضة ،ثم إن فترة الهجرة من مكة إلى المدينة والتى استمرت عشر سنوات لم يكن كلها مستغرقة فى الحروب بل كانت هناك فترات هدنة بين الطرفين، ثم إن المحاربين لمحمد وأصحابه لم يكونوا كل القرشين والأعداء بل الرجال والأشداء منهم ، ثم إن الأمر كان متبادل بين الطرفين، فلو افترضنا أن الجميع

---

[1]- قضايا عقدية د/ محمد الأنور ص١٤٦

[2]- التمهيد – الباقلانى ص١٧٦ تحقيق الشيخ / عماد الدين أحمد حيدر ط مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

من المسلمين والمشركين فى حرب مستمرة، فلماذا صرفت الحرب الأعداء عن المعارضة ولم تصرف محمدا عن الاستمرار فى التحدى([1])

وهذا هو ما جعل الإمام الغزالى يقول :إن ما ذكروه هوس فإن دفع تحدى المتحدى بنظم كلام أهون من الدفع بالسيف مع ما جرى على العرب من المسلمين بالأسر والقتل والسبى وشن الغارات ثم ما ذكروه غير دافع غرضنا ([2])

---

[1]- قضايا عقدية د/ محمد الأنور ص١٤٧- ١٤٨

[2]- الاقتصاد فى الاعتقاد – الغزالى ص١٣٠

المبحث الثانى

ثانيا : عموم رسالة سيدنا محمد (ﷺ) :

المدخل الصحيح لفهم عموم الرسالة هو صدق النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم بدلائلها فى المعجزة العقلية و المعجزات الحسية وبشارات الأنبياء و شهادة الأعداء .

وحيث إن اليقين بصدق الرسالة يستلزم صدق ما يصدر عن صاحب الرسالة فى نطاق من التبليغ عن الله عز وجل فإن آيات القرآن وأحاديث الرسول فى عموم الرسالة المحمدية زمانا ومكانا لا تقف عند زمن معين ولا يحدها مكان خاص ولا يخاطب بها جنس دون آخر([1])

ولذلك أجمع المسلمون على الإيمان بعقيدة عموم رسالته ﷺ ولم يشذ أحد منهم فى وجوب الإيمان بتلك الحقيقة و ذلك لأن من أقر بنبوته و سلم بصدقه و أمانته سلم بأن ما جاء به القرآن و السنة حق وصدق وقد جاءت نصوص القرآن صريحة بأن رسالته عامة و ليست خاصة كبقية الرسائل السماوية .

وهذا هو ما أكده ابن تيميه فى الجواب الصحيح إذ يقول : إن الذى يدين به المسلمون من أن محمداً صلى الله عليه بعث رسولا إلى الثقلين الإنس والجن جميعاً وأهل الكتاب وغيرهم وأن من لم يؤمن به فهو كافر مستحق لعذاب الله مستحقاً للجهاد و هو ما أجمع عليه أهل الإيمان لأن الرسول هو الذى جاء بذلك و ذكره الله فى كتابه و بينه الرسول أيضاً فى الحكمة المنزلة عليه من غير كتاب فإنه تعالى أنزل

١- فى نور العقيدة الإسلامية د / المسير ح ٢ ص ١٥٢ .

عليه الكتاب والحكمة ولم يبتدع المسلمون شيئاً من ذلك من تلقاء أنفسهم ([١])

هذا ويقصد بعموم رسالة سيدنا محمد ﷺ أنها شاملة لأمور المعاش والمعاد، وهى موجهة إلى الإنس و الجن و كذلك ليس لها حدود جغرافية ولا تختص بزمان معين دون زمان و لا فترة دون فترة بل هى كما قال الله تعالى لنبيه ﷺ آمراً إياه (لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون) ([٢]) وقال تعالى: (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا ...) ([٣])

و مما يفهم من هذا المقصود أن عموم رسالته ﷺ تشتمل على أكثر من جانب و لكن أهم هذه الجوانب هى :

أولاً : **أن رسالته موجهة إلى الجميع فهى رسالة لا تتقيد بحدود جغرافية معينة .**

ثانيا : **ان رسالته شاملة لأمور المعاش و المعاد .**

ثالثاً : **أن رسالته خالدة و مع ذلك فهى صالحة لكل زمان و مكان .**

و فى *الصفحات التالية* نتناول هذه *الجوانب* بالتفصيل :

أولا : **رسالته موجهة إلى الجميع فهى لا تتقيد بحدود جغرافية معينة:**

لقد أثبت القرآن الكريم و كذلك السنة النبوية ، أن الأنبياء السابقين على بعثة رسول الله ﷺ بعثوا إلى قوم مخصوصين وبالتالى

١- الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح لابن تيميه ح ١ ط مطبعة المدنى – مصر بدو ن تاريخ .

٢- سورة يس الآية ٦ .

٣- سورة الأعراف الاية ١٥٨ .

تكون مهمتهم محدودة و رسالتهم موجهة إلى قوم بعثوا إليهم و هذا هو ما أكده القرآن الكريم فى مواضع متفرقة منه .

ما قاله الله تعالى فى شأن هود قال تعالى : (وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) (١) و منها ما قاله الله فى شأن صالح قال تعالى : (وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) (٢)

ومنها ما قاله الله فى شأن شعيب قال تعالى : (وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) (٣)

ومنها ما قاله الله تعالى فى شأن موسى قال تعالى : (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور) (٤)

وغير ذلك من الآيات التى تفيد أن الأنبياء السابقين و تعاليمهم كانت مختصة بأقوامهم و أممهم التى بعثوا إليها .

ولذا نجد أن بعض الكتب المتقدمة على القرآن والتى أنزلها الله على بعض رسله كانت موجهة إلى طائفة معينة كالتوراة مثلاً فهى موجهة إلى بنى إسرائيل و كذلك وصايا الأناجيل فهى موجهة إلى بنى إسرائيل من قوم عيسى عليه السلام ، لكن رسالة رسول الله ﷺ والتى تتمثل فى القرآن الكريم نجدها موجهة إلى الناس عامة و لم نر خطابا فيه يخص قوما دون قوم هذا مما يدل على عموم رسالته ﷺ و أنه مبعوث إلى العالمين يقول ابن تيميه فى هذا الشأن : " ليس فى القرآن

١- سورة هود الآية ٥٠ .
٢- سورة الأعراف الآية ٧٣ .
٣- سورة هود الآية ٨٤
٤- سورة إبراهيم الآية ٥

آيه واحدة تدل على اختصاص رسالته إلى قريش أو إلى أهل الكتاب وغيرهم " (١)

ويقول ابن رشد الفيلسوف فى كشفه : " ولعموم التعاليم التى فى الكتاب العزيز و عموم الشرائع التى فيها أعنى كونها معدة للجميع كانت هذه الشرائع عامة لجميع الناس (٢)

وهذا هو ما أكده القرآن الكريم بقوله :(قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً ...) (٣)

يقول الإمام الرازى حول هذه الآية : إن الآية تدل على أن محمدا ﷺ مبعوث إلى جميع الخلق

وهذا يقتضى أنه مبعوث إلى جميع الناس ، و ما يعلم بالتواتر من دينه أنه كان يدعى أنه مبعوث إلى كل العالمين ووجب كونه صادقاً فى هذا القول (٤) .

ويقول ابن تيميه مشيراً إلى أساليبه ﷺ التصاعدية العامة : إن الرسول أمر بتبليغ رسالته بحسب الإمكان إلى طائفة بعد طائفة و أمر بتبليغ الأقرب منه مكاناً و نسبا ثم بتبليغ طائفة بعد طائفة حتى تبلغ النذارة إلى جميع الناس حيث يقول الله تعالى على لسانه ﷺ (وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به و من بلغ (٥)) (٦)

١- الجواب الصحيح – ابن تيميه – ج ١ ص ١٣١

٢- الكشف عن مناهج الأدلة – ابن رشد ص ١٣٢ ط المطبعة التجارية مص ط ٢ سنة ١٣٨٨ هـ

٣- سورة الأعراف الاية ١٥٨

٤- مفاتيح الغيب م ٨ ج ١٥ ص ٢٦

٥- سورة الأنعام الآية ١٩

٦- الجواب الصحيح – ابن تيمية ح ١ ص ١٣٥

وما أشار إليه القرآن الكريم أكده ﷺ فى أحاديثه الصحيحة والتى منها ما رواه البخارى بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم و لم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة و بعثت إلى الناس عامة) [١]

هذا ويتبلور عموم الرسالة فى ضرورة الإيمان بها والعمل بمقتضاها من هؤلاء جميعاً .

١- أهل الكتاب ٢- العرب والعجم

٣- الإنس والجن ٤- العالمين

و لقد قسمت هذا التقسيم تيمناً بالقرآن الكريم فقد أشار إلى هذا فى آيات عديدة و سنرى ذلك واضحاً من خلال الصفحات التالية .

١- أهل الكتاب :

لقد أكد القرآن الكريم فى آيات عديدة على أن رسول الله محمداً ﷺ مبعوث إلى اليهود

والنصارى و إلى العالم أجمع و الأمثلة على ذلك كثيرة منها :

---

[١]- صحيح البخارى كتاب التيمم ج ١ ص ٣٣٥ ط دار المطبعة السلفية القاهرة ط ٣ سنة ١٤٠٧ هـ

قوله تعالى : (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير و لا نذير فقد جاءكم بشير ونذير و الله على كل شئ قدير) ([1])

ولقد دعت سورة المائدة أهل الكتاب إلى ترك الغلو فى الدين و البعد عن الهوى والتقاليد ، قال تعالى : (قل يأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و أضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) ([2])

ولذلك نجد هذه السورة الكريمة تنوه بطائفة من أهل الكتاب عرفوا الحق فاتبعوه وأمنوا برسالة محمد ﷺ بناء على البشارات المدونة فى كتبهم ، ورفضوا الصمت الباطل و أعلنوا ولاءهم للدين الجديد ، قال تعالى : (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين * وما لنا لا نؤمن بالله و ما جاءنا من الحق و نطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) ([3])

وأيضا مما يدل على شمول رسالة الإسلام أهل الكتاب قوله تعالى : (لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون) ([4])

يقول الإمام الرازى فى تفسيره فمعنى قوله تعالى : (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) أى ما أنذروا بعد ما ضلوا فيه لأنهم لم تنذر آباؤهم الأدنون بعد ما ضلوا عن طريق الرسول المتقدم واليهود

---

[1] - سورة المائدة الآية ١٩

[2] - سورة المائدة الآية ٧٧

[3] - سورة المائدة الآية ٨٣ - ٨٥

[4] - سورة يس الآية ٦

والنصارى دخلوا فيه فهذا دليل على كون النبى ﷺ مبعوثاً بالحق إلى الناس كافة ([1])

ولقد ذكر الرسول ﷺ ما يدل على عموم رسالته و أنها شاملة لأهل الكتاب فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت و لم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) ([2])

٢- العرب و العجم :

و هذا واضح مما فعله الرسول ﷺ بعد أن نزل عليه قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين) ([3]) و قد سبق الحديث عما فعله الرسول فى إثبات نبوته فى شهادة الأعداء بحسن سيرته .

وأيضاً أكد القرآن أن دعوة الإسلام موجهة إلى العرب خاصة وإلى غير العرب عامة قال تعالى : (هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب

والحكمة و إن كانوا من قبل لفى ضلال مبين * و آخرين منهم لما يلحقوا بهم و هو العزيز الحكيم) ([4]) .

ومعلوم أن الأميين هم العرب لأنهم أمة أمية لا تقرأ و لا تكتب و الآخرون هم غير العرب من أى جنس كان .

---

[1]- مفاتيح الغيب – الإمام الرازى م ١٢ ج ٢٤ ص ٨١

[2]- شرح السنة للإمام البغوى ج ١ ص ١٠٤ط المكتب الإسلامى – بيروت ط ٢ سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م

[3]- سورة الشعراء الآية ٢١٤

[4]- سورة الجمعة الآية ٢-٣

وقال تعالى: (وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) ([١]) فالخطاب فى قوله : "لأنذركم به" لأهل مكة والمراد بقوله "ومن بلغ" ، كل من بلغه القرآن من العرب و العجم إلى يوم القيامة .

هذا ... ولقد جاءت آية من كتاب الله تعالى تصف القرآن بأنه عربى و تؤكد فى الوقت ذاته أنه رسالة عالمية موجهة إلى الناس فى أم القرى ومن حولها ، قال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها و تنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير)([٢])

يقول الدكتور المسير معلقاً على هذه الآية: إن الوصف بأم القرى يعنى العموم من حيث أن مكة المكرمة هى قبلة أهل الأرض بالكعبة المشرفة حجاً و صلاة و قوله " و من حولها" لا يقتصر على بقعة – وبيئة بل تمتد الحولية حتى نهاية العالم .

وعندما يصف القرآن بأنه حكم عربى لا يعنى أكثر من أن أمة العرب تتحمل أمانة الدعوة إلى هذا الدين القيم وتأتى فى المقدمة وتتلوها الأمم ([٣]) .

٣- الإنس و الجن :

لقد أكد القرآن مرارا أن رسالة الإسلام موجهة إلى الثقلين من الإنس والجن وتنوع الأسلوب القرآنى فى عرض هذه القضية فقد وجه التحدى بالقرآن إلى الإنس و الجن كما فى قولة تعالى : (قل لئن

---

[١]- سورة الأنعام الآية ١٩

[٢]- سورة الشورى الآية ٧

[٣]- فى نور العقيدة الإسلامية د/ محمد المسير ج ٢ ص ١٦١

اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)([١])

وقال تعالى : (قل أوحى إلىّ انه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به)([٢])

يقول الإمام الرازى فى تفسيره : اعلم أن قوله تعالى (قل) أمر منه تعالى لرسوله ﷺ أن يظهر لأصحابه ما أوحى الله إليه فى واقعة الجن و فيه فوائد : **إحداها:** أن يعرفوا بذلك أنه ﷺ كما بعث إلى الإنس فقد بعث إلى الجن . **ثانيها** : أن تعلم قريش أن الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا إعجازه فأمنوا بالرسول . **ثالثها** : أن يعلم القوم أن الجن مكلفون كالأنس.

رابعها: أن يعلم أن الجن يستمعون كلامنا و يفهمون لغتنا.

خامسها : أن يظهر أن المؤمن منهم يدعو غيره من قبيلته إلى الإيمان و فى كل هذه الوجوه مصالح كثيرة إذا عرفها الناس ([٣])

هذا وروى أيضا عن بن عمر – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن على أصحابه فسكتوا فقال ما لى أسمع الجن أحسن جواباً لربهم منكم ، ما تلوت عليهم قوله تعالى: (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ([٤]) إلا قالوا لا شئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ([٥])

---

[١]– سورة الإسراء الآية ٨٨
[٢]– سورة الجن الاية ١
[٣]– مفاتيح الغيب م ١٥ ج ٣٠ ص ١٥٣ للإمام الرازى
[٤]– سورة الرحمن الآية ١٣
[٥]– الحديث أخرجه الترمذى فى صحيحه ك تفسير القرآن ج ١٢ ص ١٧٧ ط دار الكتب العلمية بيروت

٤- العالمين :

أيضاً جاءت آيات القرآن تؤكد عملية الدعوة الإسلامية ففى سورة القلم وهى السورة الثانية نزولاً بعد العلق جاء ذلك واضحاً فى ختامها قال تعالى : (و ما هو إلا ذكر للعالمين) ([١])

وفى سورة التكوير جاء قوله تعالى: (إن هو إلا ذكر للعالمين) ([٢]) وفى سورة الفرقان جاء قوله تعالى: (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)([٣]) و فى سورة الأنبياء قال تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ([٤]) .

هذا ... والعجيب أن كل هذه الآيات التى سقناها تحت عنوان العالمين مكية نزلت فى مكة فى وقت كان يعيش المسلمون فيه مضطهدين لا يملكون الدفاع عن أنفسهم .

يقول الدكتور المسير: " أفلا يعد ذلك لوناً من الإعجاز القرآنى لأنه كالوعد الإلهي بأن يسرى نور الإسلام فى الآفاق كلها ، وأن يكون ذلك تأكيدا على أن عالمية الإسلام ليست اجتهاداً ولا ادعاءاً وإنما هى حقيقة مقررة مؤكدة منذ اليوم الأول لرسالة الإسلام لا تعرف تحويلاً ولا تبديلاً " .([٥])

---

[١]- سورة القلم الآية ٥٢
[٢]- سورة التكوير الآية ٢٧
[٣]- سورة الفرقان الآية ١
[٤]- سورة الأنبياء الآية ١٠٧
[٥]- في نور العقيدة د/ محمد سيد احمد المسير ج ٢ ص ١٦٥ ط وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

ثانياً : أن رسالته ﷺ شاملة لأمور المعاش و المعاد :

إن الحديث عن الشمول لرسالة سيدنا محمد ﷺ وكمالها ووفائها بحاجات الإنسانية دنيوية وأخروية يحتاج إلى صفحات عديدة و لكن هذا البحث لا يستدعى الإفاضة و الإطناب هذا مما يجعلني أشير إشارة عابرة إلى هذا الشمول فأقول : لو نظرنا إلى رسالة سيدنا محمد ﷺ لوجدناها شاملة لكل حاجات الإنسانية دنيوية و أخروية فهذه حقيقة يسلم بها كل عاقل منصف للحقيقة .

فالإسلام عام و شامل لما فى الرسالات السابقة عليه سواء من الناحية التشريعية أو من الناحية الأخلاقية أو من ناحية العبادات التى تحتاج إليها البشرية بصفة عامة هذا مع اعترافه الكامل بالرسالات السابقة عليه حيث أنه حلقة منها و متمم لها .

و هذا هو ما أعلنه الرسول فى الحديث الذى روى عنه (مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة فى زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون

ويعجبون له و يقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : ﷺ فأنا اللبنة وأنا خاتم المرسلين) ([1]) من هنا نلحظ أنه يعترف بالرسالات السابقة لأنه جزء منها كما قال تعالى : (كذلك يوحى إليك و إلى الذين من قبلك) ([2]) و قال تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك و ما وصينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ([3])

---

[1]- الحديث فى صحيح البخارى ج ٤ ص ٤٠٨ ط دار الفكر
[2]- سورة الشورى الآية ٣
[3]- سورة الشورى الآية ١٣

فالمراد كما يقول الإمام الرازى : "أن رسالة محمد ﷺ مماثلة للرسالات السابقة عليها فى الدعوة إلى التوحيد والعدل و النبوة والمعاد والفضائل وتقبيح أحوال الدنيا والترغيب فى التوجه إلى الآخرة ، فهذه الأمور لا تختلف فيما بينها " (١)

ولاشك أن كل هذه الأمور موجودة فى القرآن الكريم والقرآن مصدق للتوراة والإنجيل والزبور ومهيمن عليهم وهذا هو ما أشار إليه الحق فى قوله : (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) (٢)

فالقرآن الكريم كما يقول الزمخشرى وسيد قطب : هو الكتاب الوحيد الذى يتمثل الحق فى سطوره من جهة الألوهية و يتمثل الحق فى محتوياته و فى كل ما يعرض له من أصول العقيدة و الشريعة وفى كل ما يقصه من خبر وما يحمله من توجيه لا يحصل فيه تبديل ولا تحريف فهو الصورة الكاملة لدين الله وهو المرجع الأخير فى هذا الشأن والمرجع الأخير فى منهج الحياة و شرائع الناس التى تستمر إلى يوم الدين (٣) .

وصدق الله فى قوله : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) (٤)

---

[١]- مفاتيح الغيب – الإمام الرازى م ١٤ ج ٢٧ ص ١٤٢
[٢]- سورة المائدة الآية ٤٨
[٣]- الكشاف للزمخشرى ج ١ ص ١١٨ ط عيسى الحلبى سنة ١٣٩٢ هـ وفى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ج ٢ ص ٩٠٢
[٤]- سورة الصف الآية ٩

فالإسلام يشتمل على الحقائق و المبادئ الموجودة فى الرسالات السابقة وزاد عليها من الأمور والمبادئ التى تحتاج إليها البشرية فى جميع جوانب الحياة .

ولهذا نقول كما قال شيخنا سيد قطب : " ما من صاحب دين غير الإسلام ينظر فى الإسلام نظرة مجردة من التعصب والهوى حتى يقر باستقامة هذا الدين و كونه و قوته وقدرته على القيادة البشرية قيادة رشيدة و تلبية حاجاتها النامية المتطورة فى يسر واستقامة قواعد الله (وكفى بالله شهيدا) قد تحقق فى صورة السياسة الظاهرة قبل مضى قرن من الزمان بعد البعثة المحمدية ووعد الله ما يزال محققا فى الصورة الموضوعية الثابتة و ما يزال هذا الدين ظاهراً على الأديان كلها فى حقيقته بل إنه الدين الوحيد القادر على العمل والقيادة فى جميع الأحوال (١)

وهذا هو ما أكده القرآن بقولة تعالى : (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ) (٢) و قوله تعالى : (وكل شئ فصلناه تفصيلا) (٣)

أى كل شئ لكم به حاجة فى مصالح دينكم و دنياكم فقد فصلناه وشرحناه وأن جميع أنواع التفريط منفية ، كما قال تعالى : (ما فرطنا فى الكتاب من شئ) (٤) وهو مما لا شبهة فيه وقد ذكر فيه جميع ما يحتاج إليه من أمر الدين و الدنيا لذلك أجمع العلماء على أن رسالته ﷺ عامة و شاملة للعلوم الدينية والدنيوية فقد بينها بياناً شافياً .

١- المرجع السابق ج ٦ ص ٣٣٣
٢- سورة النحل الآية ٨٩
٣- سورة الإسراء الآية ١٢
٤- سورة الأنعام الآية ٣٨

ثالثاً : رسالته ﷺ خالدة و صالحة لكل زمان و مكان :

لقد شاءت إرادة الله و اقتضت حكمته أن يختم رسالاته إلى البشر فأرسل إلى الناس كافة رسولاً برسالة عامة شاملة لجميع أطراف الحياة و نشاطها سواء كانت دنيوية أو أخروية فهى رسالة مختلفة عن الرسائل السابقة عليها فلقد كانت رسالة كل نبى من الأنبياء لمرحلة معينة من الزمن ولبيئة خاصة ومن ثم كانت تلك الرسالة محكومة بظروفها أما رسالة سيدنا محمد ﷺ فهى عامة فى كل خلق دائمة إلى يوم أن تقوم الساعة .

ومما يدل على استمرار رسالته ﷺ هو وعد الله له بحفظه وبحفظ شريعته .

بحفظه نقول : إن الله تعالى قد حفظه ﷺ و عصمه من الزلل و غيره وهذا واضح فى قوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس) (١)

يقول الإمام القرطبى فى قوله تعالى : (والله يعصمك من الناس) هذا دليل على نبوته ﷺ لأن الله عز وجل أخبر أنه معصوم ، ومن ضمن – سبحانه – له العصمة فلا يجوز أن يكون قد ترك شيئاً مما أمره الله به.

وعن ابن عباس قال : قال النبى ﷺ لما بعثنى الله برسالته ضقت بها ذرعا و عرفت أن من الناس من يكذبنى ، فأنزل الله هذه الآية وكان أبو طالب يرسل كل يوم مع رسول الله ﷺ رجالاً من بنى

١- سورة المائدة الآية ٦٧

هاشم يحرسونه حتى نزل: (والله يعصمك من الناس) فقال النبى يا عماه إن الله قد عصمنى من الجن والإنس فلا احتاج إلى من يحرسنى " ([١])

فالله سبحانه و تعالى قد حفظ رسوله و جعل صدور الذنب عنه ممتنعا ومن يقول غير ذلك فقد تعرض لإيذاء رسول الله ﷺ ومن تعرض لإيذاء رسول الله ﷺ فقد استوجب لعنة الله تعالى و هذا واضح من قوله تعالى : (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً) ([٢])

ولا غرابة فى ذلك فهو ﷺ القدوة الحسنة لأجيال البشرية إلى يوم القيامة ولا نظير له فى سير الأنبياء ولا فى تاريخ العظماء قال تعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ...) ([٣]) ثم جعل اتباعه ﷺ دليلا على حبه له ،و هذا هو ما أعلنه القرآن الكريم قال تعالى :(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) ([٤])

إن أى إنسان إذا قارن بين هذه السيرة و بين سير الأنبياء السابقين و حياتهم فسيجد أن أكثرها توارت فى ظلمات الجهل والإهمال والحوادث التاريخية الدامية وقد أدت رسالتها فى فترة زمنية خاصة ومشى فى ضوئها الجيل الذى كلف باتباعها ثم لم يبق حاجة إلى الاحتفاظ " ([٥]) هذا بحفظه ﷺ .

---

[١]- الجامع لأحكام القرآن الكريم – الإمام القرطبى م ٣ ج ٦ ص ١٥٧– ١٥٨ ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٤ هـ

[٢]- سورة الأحزاب الآية ٥٧

[٣]- سورة الأحزاب الآية ٢١

[٤]- سورة ال عمران الآية ٣١

[٥]- النبوة والأنبياء–للشيخ الندوى ص١٨٤ ط دار القلم– بيروت ط ٤سنة ١٣٣٤ هـ

أما بحفظ شريعته فنقول :

إذا كانت الصحف السماوية السابقة تعرضت للتحريف والضياع والتبديل و ذلك لأن الله تعالى لم يتكفل بحفظها بل أسند ذلك إلى علمائها وهذا هو ما أوضحه لنا القرآن الكريم قال تعالى : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء)[١]

وقد ثبت ذلك تاريخياً وأقرت به الأمم والطوائف التى نزلت عليها هذه الصحف [٢]

أما القرآن الكريم والذى عليه الاعتماد فى هداية البشر فقد تكفل الله بحفظه وسلامته من كل تحريف و تبديل قال تعالى : (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[٣]

وأيضاً تكفل الله بسلامته من نسيان و عبث الذاكرة و ارتفاع عن صدور الناس أو تعرضه لنكبة ما تقضى عليه قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [٤] يقول الإمام الرازى حول هذه الآية متحدثاً عن كيفية حفظ الله له : قيل حفظه بأن جعله معجزة مباينا لكلام البشر معجزا الخلق عن الزيادة فيه والنقصان عنه لأنهم لو زادوا فيه أو نقصوا عنه لتغير نظام القرآن فيظهر لكل العقلاء أنه ليس

---

[١]- سورة المائدة الآية ٤٤

[٢]- النبوة والأنبياء – الندوى ص ١٩٨

[٣]- سورة فصلت الآية ٤١ – ٤٢

[٤]- سورة الحجر الآية ٩

من القرآن فصار كونه معجزا كإحاطة السور بالمدينة لأنه يحصنها ويحفظها .

وقيل أعجز الخلق عن إبطاله و إفساده بأن قيض جماعة يحفظونه ويدرسونه و يشهرونه فيما بين الخلق إلى بقاء التكليف .

وقيل المراد بالحفظ هو أن يقال إن أحدا لو حاول تغييره بحرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا هذا كذب و تغيير لكلام الله تعالى حتى إن الشيخ المهيب لو اتفق له لحن أو هفوة فى حرف من كتاب الله تعالى لقال له كل الصبيان أخطأت أيها الشيخ و صوابه كذا و كذا (١)

وهكذا تحدث الإمام الرازى عن حفظ كتاب الله من التبديل والتغيير ولذلك نقول : لقد مر على نبوة سيدنا محمد ﷺ أكثرمن ألف وأربعمائة سنة وما زالت شريعته محفوظة باقية لم تتغير، وأيضا صالحة للتطبيق موفية بالغرض ليس فيها نقص أو فراغ يتطلبان التكمل و الإتمام فهو كما قال الله عنه (تنزيل من حكيم حميد) (٢)

وإذا كنا نقول أنه مر على نبوة رسولنا الأعظم أكثر من ألف عام و لم يتعرض للتحريف

والتغيير فهذا هو ما شهد به علماء الغرب فها هو (لين فول) يقول : إن أكبر ما يمتاز به القرآن أنه لم يتطرق شك إلى أصالته ، إن كل حرف نقرأه اليوم نستطيع أن نثق بأنه لم يقبل أى تغيير منذ ثلاثة عشر قرنا .

---

(١) - مفاتيح الغيب م ١٠ ج ١٩ ص ١٦٠ - ١٦١
(٢) - سورة فصلت الآية ٤١ - ٤٢

وأيضا يقول (سير وليم ميور) : إنه لم يمض على وفاة محمد ربع قرن حتى نشأت منازعات عنيفة وقامت طوائف، وقد ذهب " عثمان " ضحية لهذه الفتن و لا تزال هذه الخلافات قائمة و لكن القرآن ظل كتاب هذه الطوائف الوحيد ، إن اعتماد هذه الطوائف جميع على هذا الكتاب تلاوةً لبرهان ساطع على أن الكتاب الذى بين أيدينا هو الصحيفة التى أمر الخليفة " المظلوم " بجمعها و كتابته فهو الكتاب الوحيد فى الدنيا الذى بقى نصه محفوظاً من التحريف طيلة ألف ومائتى سنة ([1])

وليس فى حديثهم هذا جديداً فهذا هو ما أخبر الله تعالى به منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، وما أخبر به ﷺ أيضا فى أحاديثه المتواترة والتى فيها ما روى عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال : " إن هذا القرآن مأدبة الله فأقبلوا على مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله المتين والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يزيغ فيستعتب و لا يعوج فيقوم ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق من كثره الرد اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات . أما إنى لا أقول (آلم حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف) ([2])

وانتهى من كلامى هذا فأقول : بحفظ كتاب الله من التحريف وبحفظ رسول الله ﷺ فى حياته وحفظ سنته بعد وفاته كلاهما يدل على أن رسالته صالحة لكل زمان ومكان منذ بعثته إلى يوم الدين و بخاتمة

---

[1]- النبوة والأنبياء – الشيخ الندوى ص ١١٢ – ١١٣

[2]- انظر المصحف الشريف ط الشمرلى ص ٥٣٨ – ٥٣٩

رسالته وصلاحيتها لكل زمان ومكان نكون قد انتهينا من الاستدلال على عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ .

المنكرون لعموم رسالة سيدنا محمد ﷺ : -

لقد سبق أن تحدثنا عن المنكرين للنبوة بصفة عامة وبينا الطوائف المنكرة للنبوة وذكرنا الشبه التى اعتمدوا عليها بالتفصيل شبهة بعد شبهة .

ثم بعد ذلك تحدثنا عن المنكرين لنبوة سيدنا محمد ﷺ من اليهود و النصارى و ذكرنا شبهة كل منهم ورددنا عليها .و الحديث الآن عن المنكرين لعموم رسالة سيدنا محمد ﷺ و المنكرين لذلك هم طائفة من اليهود تسمى بالعيسوية ([1])

هذه الطائفة تعترف بصحة محمد ﷺ وبأنه مؤيد بالمعجزات إلا أنها حصرت نبوته ﷺ فى القول بأنه مبعوث للعرب خاصة وبهذا أنكروا عموم رسالته ﷺ وفى الصفحات التالية نتعرض لقولهم هذا ثم نرد عليه .

وأبدأ الحديث فأقول :

لقد صرح العيسوية بذلك تبعا للغة التى جاء بها القرآن إذ أنه لما كان باللغة العربية فإنه لم يعرف كونه معجزة إلا بعد معرفة أوجه الفصاحة فى الكلام و ذلك لا يتوفر إلا للعرب كما أن القرآن قد صرح بأنه نزل بلسان قومه ولما كان رسول الله محمداً ﷺ ليس له قوم إلا

---

[1]- نسبة إلى أبى عيسى إسحاق بن يعقوب الأصطفهانى ، كان فى زمن المنصور وابتدأ دعواه فى زمن اخر ملوك بنى أمية مروان بن محمد الحمار فاتبعه بشر كثير من اليهود وادعوا له أيات ومعجزات ، راجع الملل والنحل للشهرستانى ج ٢ ص ٥٥ ط دار الفكر

العرب دل ذلك على أن القرآن نزل لهم فقط و أن الذى أنزل عليه الكتاب مبعوث للعرب خاصة .

هذا ولقد صور الإمام الرازى مذهبهم تحت تفسيره لقوله تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ...) ([١]) ، فقال : زعمت طائفة من اليهود " يقال لهم بالعيسوية " أن محمداً رسول الله لكنه إلى العرب لا إلى سائر الطوائف و تمسكوا بهذه الآية من وجهين :

الأول : أن القرآن لما كان نازلًا بلغة العرب لم يعرف كونه معجزة بسبب ما فيه من الفصاحة إلا العرب و حينئذ لا يكون حجة إلا على العرب ومن لا يكون عربياً لم يكن القرآن حجة عليه.

الثانى : قالوا إن قوله تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) ([٢]) المراد بذلك اللسان لسان العرب و ذلك يقتضى أن يقال إنه ليس له قوم سوى العرب وذلك يدل على أنه مبعوث إلى العرب فقط.

والجواب : لم لا يجوز أن يكون المراد من قومه أهل بلده وليس المراد من قومه أهل دعوته ؟ والدليل على عموم الدعوة قوله تعالى: (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً) ([٣]) بل إلى الثقلين ، لأن التحدى كما وقع مع الإنس فقد وقع مع الجن بدليل قوله تعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن

---

[١]- سورة ابراهيم الآية ٤

[٢]- سورة ابراهيم الآية ٤

[٣]- سورة الأعراف الآية ١٥٨

يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً) ([1])

ونقول لهم إنكم اعترفتم بأنه رسول الله وبأنه مؤيد بالمعجزات ومعلوم لدينا ولديكم أن الرسل جميعا معصومون عصمة كاملة عن الكذب ومعلوم أن الله سبحانه وتعالى يؤيده بإظهار المعجزات على يديه فإنما يكون ذلك تصديقاً له فى دعواه ([2])

ولقد بعث ﷺ ومع بدء البعثة قال أنا رسول الله إلى الناس كافة وأنا رسول الله إلى الناس عامة ، ففى صحيح البخارى أنه ﷺ قال : (كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة و بعثت إلى الناس عامة)([3]) وروى الإمام مسلم أيضاً عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : (والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت و لم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) ([4])

والقرآن الكريم يصرح بعالمية الدعوة قال تعالى : (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً)([5])

ولا نزاع فى أن الفرقان هو القرآن ووصف بذلك لأن الله فرق به بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام ، والعبد هنا هو رسول الله محمد ﷺ . وأن العالم هو كل ما سوى الله تعالى فيتناول المكلفين من الإنس و الجن والملائكة ، لكن أجمعت الأمة على أنه عليه السلام لم

---

[1]- سورة الإسراء الآية ٨٨

[2]- مفاتيح الغيب - الرازى م ١٠ ج ١٩ ص ٨١ بتصرف

[3]- صحيح البخارى وسبق تخريجه

[4]- الحديث فى شرح السنة للإمام البغوى ج ١ ص ١٠٤ ط المكتب الإسلامى - بيروت ط ٢ سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م

[5]- سورة الفرقان الآية ١

يكن رسولا إلى الملائكة فوجب أن يكون رسول الله إلى الجن والإنس جميعاً. كما أن لفظ العالمين يتناول جميع المخلوقات فدلت الآية على أنه رسول للخلق إلى يوم القيامة ، فيجب أن يكون خاتم الأنبياء و الرسل (١)

لكل ذلك لا ينبغى أن يلتفت العاقل إلى ما أشارت إليه العيسوية من أنه ﷺ أرسل إلى العرب فقط لأنهم سلموا بصحة نبوته بالأدلة القاطعة والمعجزات الباهرة فوجب عليهم أن يعترفوا بما تواتر عنه أنه مبعوث إلى الناس كافة فإنه قد علم ذلك منه كما علم وجوده ودعواه.

يقول الإمام الآمدى : (وأما العيسوية فيمتنع عليهم بعد التسليم بصحة رسالته وصدقه فى دعوته إلا الإذعان لكلمته ، إذ لا سبيل إلى القول بتخصيص بعثته إلى العرب دون غيرها من الأمم مع ما اشتهر عنه وعلم بالضرورة) . والنقل المتواتر أنه عليه الصلاة و السلام بعث إلى الناس كافة ومن المحال الممتنع أن يكون عند العيسوية رسول صادق نبى ثم يجور ويظلم و يبدل دين الحق (٢) و يقول الباقلانى : (ويجب أن يعلم أن نبينا محمداً ﷺ مبعوث إلى كافة الخلق و أن شرعه لا ينسخ بل هو ناسخ لجميع من خالفه من الملل و الدليل على ذلك : ثبوت نبوته و صدق ما قاله و قد أخبر بجميع ذلك) (٣)

من خلال ما سبق نكون قد أثبتنا عموم رسالة رسول الله ﷺ ورددنا على من يخص العرب ببعثته بالكثير من الأقوال القرآنية الدالة على عموم رسالته والتى منها قوله تعالى : (يا أيها الناس إنى رسول

١- مفاتيح الغيب م ١٢ ج ٢٤ ص ٤٥ بتصرف
٢- غاية الرام – للإمام الآمدى ص ٣٥٩
٣- الإنصاف للإمام الباقلانى ص ١٢

الله إليكم جميعاً) [١] وبما أثبتناه ينسد باب الرسالة و استغنى الناس عن الرسل بعموم رسالة سيدنا محمد ﷺ ، فلم تعد الأمة بحاجة إلى رسول يكمل لها دينها أو يتم عليها نعمة ربها ، لأن الله قد أكمله على يد رسوله الأعظم ﷺ وارتضاه له و لأمته إلى يوم القيامة وهذا هو ما أكده القرآن بقوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الإسلام دينا) [٢]

وأدل دليل على عموم رسالته ما قاله صاحب الجوهرة فى كتابه المعروف يقول : (إن رسول الله ﷺ مرسل لجميع الناس من لدن آدم إلى يوم القيامة حتى إلى نفسه لدخول الجميع قوله ﷺ بعثت إلى الناس كافة ومن نفى عموم بعثته ﷺ فقد كفر) [٣] .

---

[١]- سورة الأعراف الأية ١٥٨

[٢]- سورة المائدة الأية ٣

[٣]- شرح الجوهرة للإمام الباجورى ص ٨٤

الفصل الخامس

تفنيد شبهات حول النبوة و الرد عليها

تمهيد :

إن المتأمل فى دعوة الأنبياء من خلال القصص القرآنى يجد أن مما دعا إليه الرسل عليهم السلام أقوامهم إليه هو الإيمان و أنهم مرسلون من عند الله لتبليغ دينه ، ومن يتتبع السور المكية فى القرآن الكريم يجد ذلك واضحاً ، حيث يرى أن جميع الرسل عليهم السلام قد بذلوا غاية وسعهم وقصارى جهدهم فى إثبات رسالاتهم لأقوامهم بالأدلة الواضحة و الحجج الدامغة و البراهين الساطعة .

ومن اجل إثبات الرسل لرسالاتهم نرى أنهم واجهوا العديد من ألوان التكذيب والإعراض والجحود والعناد واختلاف الأباطيل والشبهات حول الرسالات وحول أصحابها فلقد كانت تتلاحق الاتهامات والادعاءات الباطلة حول رسل الله عليهم السلام من قبل أعداء الدعوة فكلما فشلوا فى عرض شبهةما استحدثوا شبهة أخرى وأسلوب آخر لعله يحقق لهم الهدف فى صرف الناس عن دعوة الرسل .

وها نحن نتعرض للشبهة ونرد عليه ونكتفى بذكر شبهتين فقط خشية الإطالة :

الأولى : أنكر المشركون فيها نبوة البشر ، واعترضوا عليهم لأنهم من البشر، لظنهم أن بشرية الرسل تماثل بشريتهم العادية يعتريها النقص والعيوب وهبوط الأخلاق فليس لهم ميزة عليهم على زعمهم وكان الأولى أن يكون الرسول ملكا، قال تعالى مخبرا ما قاله

المنكرون للرسل (قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ إن أنتم إلا تكذبون) ([1])

الثانية : تتعلق أيضا بالرسل عامة وبرسول الله محمد ﷺ خاصة ، فلقد حاولوا أن يشككوا فى القرآن الكريم فاخترعوا بعض التلفيقات فقالوا : إن محمدا شاعر وما جاء به فهو شعر فرد الله عليهم قائلا : (وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) ([2]) ولكننا لا نستطيع إلا أن نقوى كما قال الإمام الرازى: (إنها ليست إلا هزؤة للساخرين وضحكة للناظرين) ([3])

الشبهة الأولى : **بشرية الرسل عليهم الصلاة والسلام :**

إن الدارس المدقق لدعوة الأنبياء من خلال سور القرآن الكريم يجد أن من بين الأساليب التى سلكها الرسل عليهم السلام فى إثبات رسالاتهم لأقوامهم ، تقرير أنهم بشر مثلهم إلا أن الله تعالى قد خصهم بنعمة الوحى والرسالة فمما يشير إلى هذا المعنى قول الله تعالى : (إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) ([4])

فهذه الآية الكريمة توضح لنا أن البشرية لا تنافى الرسالة بل هى من مقتضياتها التى لا تصح إلا بها وأنه لا مانع من أن يمن الله علي من يشاء من عباده فيختاره لذلك المنصب الجليل ويصطفيه للوحى وينزل عليه ويبلغه للناس قال تعالى : (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير) ([5])

---

[1]- سورة يس الاية ١٥
[2]- سورة يس الاية ٦٩
[3]- مفاتيح الغيب م ١٤ ج ٢٧ ص ٩٤
[4]- سورة ابراهيم الاية ١١
[5]- سورة الحج الاية ٧٥

فالمتأمل بعين البصيرة وروح الإنصاف فى تاريخ دعوة الرسل على ضوء آيات القرآن الكريم يرى أن كثير من المجتمعات البشرية من لدن مجتمع نوح إلى مجتمع قريش – عندما جاءتهم رسلهم بالبينات الواضحات والبراهين الساطعات على صدقهم فى دعوتهم التى كلفوا بهاَ من قبل الحق عز وجل يرى أن تلك المجتمعات قد عارضت الرسل جميعا كل فى عهد رسالته بسبب أنهم بشر مثلهم زاعمين أن البشر لا يكون رسولا ، وإنما الرسل ينبغى أن يكونوا من الملائكة .

فالقارئ للقرآن يجد تشابه نفوس المكذبين لدعوة الرسل فى إنكار النبوة بحجة أنهم بشر .

يقول الله تعالى مبينا موقف قوم نوح من رسالته : (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) (١) ، فنرى من خلال هذه الآية أن نوحا عليه السلام وهو من أول رسل الله إلى الأرض أنكر عليه قومه رسالته لكونه بشرا مثلهم .

ونجد هذه الشبهة كذلك فى دعوة هود عليه السلام مع قومه حين واجهوا دعوته بالتكذيب والإنكار لنبوة البشر ويتضح لنا هذا المعنى حين قال زعماء قومه لمن اتبعه من المؤمنين على سبيل تحريضهم على عدم قبول دعوته كما يشير إلى ذلك قول الله تعالى : (ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون * ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون) (٢)

١- سورة هود الآية ٢٧

٢- سورة المؤمنون الآيتان ٣٣ ، ٣٤

ونجد أيضا صالح عليه السلام ينكر عليه قومه رسالته لكونه بشرا مثلهم قال تعالى مشيرا إلى ذلك : (ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين) ([١]) ، وقال أيضا : (كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنّا إذاً لفى ضلال وسعر) ([٢]) .

ونجد أيضا قوم شعيب عليه السلام ينكرون عليه نبوته ورسالته إليهم لأنه بشر مثلهم ، قال تعالى موضحا قولهم (وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين) ([٣]).

ثم نجد أيضا هذه الشبهة فى دعوة موسى عليه السلام فحينما أرسل الله موسى وأخاه هارون إلى فرعون وملئه ، كان أول شئ عورضا به هو إنكار نبوتهما ورسالتهما لكونهما من البشر وفى هذا يقول الله تعالى (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) ([٤])

وبالتأمل فى دعوة خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ نجد أن هذه الشبهة كانت متغلغلة فى كفار قريش حين واجههم النبى ﷺ بدعوته للإسلام ، أنكروا عليه دعوته كذلك لكونه بشرا مثلهم ومن جنسهم وهذا هو ما منعهم عن اتباعه كما حكى القرآن الكريم قال تعالى: (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا)([٥]).

وإذا كان أعداء الدعوة من نوح عليه السلام إلى خاتم الأنبياء قد واجهوا أنبياءهم لكونهم بشرا مثلهم فكذلك نجد أن أصحاب القرية قد

---

[١]- سورة الشعراء الآية ١٥٤
[٢]- سورة القمر الايتان ٢٣ ، ٢٤
[٣]- سورة الشعراء الآية ١٨٦
[٤]- سورة المؤمنون الآية ٤٧
[٥]- سورة الإسراء الآية ٩٤

وقفوا فى وجه رسلهم منكرين رسالتهم متعللين أنهم بشر مثلهم زاعمين أنهم ليست لهم ميزة عليهم توجب الانفراد لهم ، وقد أمر الله محمدا ﷺ أن يضرب المثل لمشركى مكة بأصحاب القرية المكذبين لرسلهم المنكرين لرسالتهم بحجة أنهم مثلهم.

قال تعالى : (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون * إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون * قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ إن أنتم إلا تكذبون) [1]

يقول الإمام الطبرى فى قوله تعالى : (ما أنتم إلا بشر مثلنا) (قال أصحاب القرية مخاطبين للثلاثة منكرين كونهم رسلا زاعمين أنه لا مزية لرسل توجب اختصاصهم بما يدعونه وقوله مثلنا صفة البشر والمراد بالمثلية أنهم يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق وكأن القوم ظنوا أنهم لو كانوا رسلا لكانوا ملائكة) [2]

فالشبهة المفهومة من هذه الآيات أن الرسل بشر مثلهم فيكون سبب إنكارهم أو شبهتهم تحتمل أن يقال أنه لما كان الرسل عليهم السلام مساوين لسائر الناس فى جميع الأمور امتنع كونهم رسلا لأن الرسل لا بد وأن يكونوا عظماء عند الله تعالى وأحباء له وأن يختصوا من غير الأحباء بمزيد الدرجة فلما فقدت هذه الأشياء علمنا انتفاء الرسالة أو أن يقال هذا الإنسان مشارك لكم فى جميع الأمور ولكنه احب الرئاسة وغيرها فلم يجد إليه سبيلا إلا بإدعاء النبوة فصار ذلك شبهة لهم فى القدح فى نبوته.

---

[1]- سورة يس الآية ١٣ ، ١٥

[2]- جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ٢٢ ص ٢٠١ بتصرف

أو أنهم قالوا لو أراد الله أن يبعث رسله لإرشاد البشر لوجب أن يسلك الطريق الذى يكون أشد إفضاء إلى المقصود ومعلوم أن بعثة الملائكة أحق بالرسالة لعلو شأنهم وكثرة علومهم فالخلق ينقادون إليهم ولا يشكون فى رسالتهم ، فلما لم يفعل قالوا : علمنا أنه ما أرسل رسولا البتة ([1])

ومن هنا يمكننا أن نقول : إن إنكار الرسل شبهة قديمة أخذت فكرتها يتوارثها جيل عن جيل من قوم نوح عليه السلام إلى قوم الرسول حتى وصلت هذه الفكرة الواهية إلى كفار قريش فى عهد رسولنا الأعظم ﷺ حيث أكد القرآن ثبوت هذه الشبهة وورودها على ألسنة المعاندين والمكذبين وقد سبق ذكر ما يدل على ذلك من القرآن الكريم.

لذلك قال أحد الباحثين : (إن الذى يمنع القوم من الإقرار بنبوة سيدنا محمد أنهم يعتقدون أن البشرية ليس فيها إلا مظاهر النقص وأن الله لو أراد نبيا أو رسولا لكان النبى أو الرسول من الملائكة فهم فى زعمهم أصفى روحا وأعلى مرتبة) ([2])

وقبل أن نرد على هذه الشبهة نقول ما قاله صاحب الظلال : (إنها الشبهة التى وقرت فى نفوس جهال البشر ، إن الجنس البشرى أصغر من حمل رسالة الله فإن تك رسالة فليحملها ملك أو مخلوق آخر، وهى شبهة جاهلة مصدرها عدم الثقة بهذا المخلوق الذى استخلفه الله فى الأرض وهى وظيفة خطيرة ضخمة ، فلابد أن الخالق قد أودع فى هذا الإنسان ما يكافئها من الاستعداد والطاقة وأودع فى جنسه

---

[1]- مفاتيح الغيب للرازى ج ٢٣ ص ٩١ بتصرف
[2]- النبوة والتنبؤ د/ طه حبيش ص ٣٤ مطبعة الفجر الجديد

القدرة على أن يكون بينهم أفراد مهيئون لحمل الرسالة باختيار الله لهم وهو أعلم بما أودع فى كيانهم الخاصة من خصائص هذا الجنس فى عمومه) ([1]).

ونقول : لقد كانت جذور هذه العقيدة الباطلة قد تأصلت فى ذهن الناس إلى أعماق بعيدة وكان من أمرها أنه لما كان عبد من عباد الله يبلغهم رسالة الله ظلوا يتساءلون فى حيرة واستغراب : ما لهذا الرسول يأكل الطعام كما نأكله ؟ وينام كما ننام ؟ وأن الله لو أراد لنا الهداية فلم أرسل إلينا بشرا مثلنا ؟ هذه هى الأسئلة التى أثيرت عن كل نبى جاء من عند الله تعالى واتخذها الناس حجة لرفض الإيمان بأنبياء الله تعالى .

مناقشة هذه الشبهة والرد على مبتدعيها :

أولا : نقول إن البشرية لا تنافى الرسالة وأن التماثل فى البشرية والإنسانية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة لأن هذا المنصب منصب يمن الله به على من يشاء من عباده لأن الله تعالى خالق الخلق ومالكها ومن له الأمر والخلق والملك له أن يتصرف فى عباده بالأمر والنهى فإن من له الخلق والإبداع له الاختيار والاصطفاء، قال تعالى : (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) ([2]) .

فجعل الله الرسل من جملة البشر إلى الجنس البشرى أولى فى الإفضاء إلى المقصود وهو أن الجنسية مظنة الألفة والمؤانسة ولو أنزل الله من الجنس الآخر كالملائكة كما طلبوا لوقعوا فى مشقة ولبس، وذلك لأن البشر لن يتحملوا لقاء الملائكة من هول ما يشهدون ، وذلك

---

[1]- فى ظلال القرآن – سيد قطب ج ١٢ ص ١٨٧١ –١٨٧٢ ط الشروق بيروت
[2]- سورة القصص الآية ٦٨

أيضا لأننا نعرف أن الملائكة قد يظهرون على صورتهم الحقيقية وقد يظهرون على صورة بشر فإن كان الأول فلن يستطيعوا لقاءه وذلك لأن الرسول ﷺ نفسه لما رأى جبريل على صورته الحقيقية أصابته حالة تغيير وهو النبى المصطفى فما بالنا نحن ولو كان على صورة بشر فلن يعرفه أنه ملك ويرجعون إلى كلامهم الأول وهو قولهم : كيف نتبع بشرا مثلنا ؟ .

وأكد القرآن الكريم أنه لو كان ملكا لم يكن على صورته الحقيقية ولكن على صورة بشر قال تعالى : (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) (1) .

ولقد وضح الإمام الرازى أن هؤلاء الذين يطلبون أن يكون الرسول من الملائكة كانوا يطلبون ذلك على سبيل الاستهزاء فقال : اعلم أن بعض القوم الذين يقولون أن رسول الله يجب أن يكون من الملائكة كانوا يقولون هذا الكلام على سبيل الاستهزاء والتعنت ولو جاءتهم كل آية لا يؤمنون بها حتى ولو أنزل الله عليهم كتابا فلمسوه بأيديهم ورأوه بأعينهم وقرءوه بألسنتهم لتحججوا أو لجوا فى طغيانهم وإنكارهم وكان يضيق قلب الرسول عند سماعه ، فذكر الله ذلك ليصير سببا للتخفيف عن القلب . (2)

ولقد أشار القرآن الكريم إلى ما قاله الإمام الرازى قال تعالى : (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) (3) .

1- سورة الأنعام الآية ٩
2- مفاتيح الغيب – الرازى م ٦ ج ١٢ ص ١٦٣
3- سورة الأنعام الآية ٧

ولو أنزل الله عليهم ملكا ربما لم يؤمنوا وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم أيضا قال تعالى : (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون)([1]).

يقول الإمام الرازى : وإذا لم يؤمنوا وجب إهلاكهم بعذاب الاستئصال فإن سنة الله جارية بأنه عند ظهور الآية الباهرة إن لم يؤمنوا جاءهم عذاب الاستئصال فمن هنا ما أنزل الله عليهم الملك لئلا يستحقوا هذا العذاب ([2]).

ثانيا : أما قولهم لا يجوز اتباع الرسل لأنهم مشابهون للبشر فى الصورة والنفس والعقل يأكلون مما نأكل ويشربون مما نشرب منه فهذا القول قال عنه الإمام الغزالى : إنه فى غاية الضعف لأنهم فى الواقع يتتبعون زعماءهم ورؤساءهم فى أمور شتى وهم بشر مثلهم فكان الأولى أن يتبعوا الرسل الذين يتلقون أخبارهم من الصانع الحكيم وأنهم من صنع الله ([3]) .

وهذا ما وضحه القرآن الكريم المنزل على الرسول ﷺ قال تعالى لموسى : (وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى) ([4]) وقال له : (واصطنعتك لنفسى) ([5]) وقال تعالى لرسوله ﷺ :(ووجدك ضالا فهدى) ([6]) .

---

[1]- سورة الأنعام الآية ١١١
[2]- مفاتيح الغيب م ٦ ج ١٢ ص ١٦١
[3]- فيصل التفرقة - الغزالى ص ١٤٦ بتصرف بسيط
[4]- سورة طه الآية ٣٩
[5]- سورة طه الآية ٤١
[6]- سورة الضحى الآية ٧

فنظام الحياة واقع أو قائم على هذه التبعية وقد استقر منذ وجود الإنسان فيه على هذه التبعية ولابد منها وإلا فسدت حياة الناس وأصبحوا كالوحوش .

فالأنبياء بشر مثلنا فى الهيئة والصورة والعادات المعروفة كالأكل والشرب والنوم والمشى والموت وهذا ما أكده القرآن الكريم على لسان رسوله ﷺ (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)(١).

فالأنبياء معترفون أنه لا امتياز لهم بينهم وبين سائر البشر ، إلا الإصطفاء وأن الله أوحى إليهم بأنه لا اله إلا هو الله الواحد الأحد وبينوا أن التماثل فى البشرية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة لأن هذا المنصب يمن الله به على من يشاء من عباده وأن حصول النبوة عطية من الله يهبها لكل من يشاء من عباده ولا يتوقف حصولها على امتياز ذلك الإنسان على سائر الناس بمزيد إشراف نفساني وقوة قدسية .(٢)

فالأنبياء بذلك لهم طرفان : بشرية ورسالة ، فبطرف البشرية يشاكلون نوع الإنسان ويشاركونه، وبطرف الرسالة يشاكلون نوع الملائكة ويشاركونهم .

والإنسان منا يدرك الأولى بضعف إيمانه ويدرك الثانية بقوة إيمانه وهذا ما وضحه صاحب دلائل النبوة إذ يقول : ومن الحقائق المعروفة أن الإنسان يميل إلى التركيز على بشر أو "يوحى إلى" حسب

١- سورة الكهف الآية ١١٠

٢- مفاتيح الغيب م ١٠ ج ١٩ ص ٩٦ بتصرف

قوة شعوره الدينى وضعفه فالذى لا إيمان له لا يرى إلا البشرية . . .
ضعف إيمانه يركز على البشرية كلما قوى الإيمان ويزداد التر...
على "يوحى إلى " كلما ازداد الإيمان حتى يصل الإنسان إلى أن . . .
أو لا يكاد يرى إلا " يوحى إليه " .([1])

ثالثا : ان القائلين بهذه الشبهة هم البراهمة وغيرهم ونقل عنهم ا . . .م
الشهرستانى فقال: (إن أكبر الكبائر فى الرسالة اتباع رجل هو مثلك فى
الصورة والنفس والعقل يأكل مما تأكل ويشرب مما تشرب حتى تكون
بالنسبة إليه كجماد يتصرف فيك رفعا ووضعا أو كعبد يتقدم أمرا فكيف
نتبع بشرا مثلنا يفعلون ما نفعله فهم لا يزيدون علينا فى شئ) .([2])

هذا هو قولهم ، وعلى ذلك نقل كثير من العلماء والكاتبين أن
بعضهم اعترفوا بنبوة آدم وإبراهيم عليهما السلام وكذلك بعض الصابئة
اعترفوا بنبوة شيث وإدريس عليهما السلام فهؤلاء متى اعترفوا ببعض
الأنبياء فقد اعترفوا ببشرية الرسل ولا فرق بين الذين قالوا بنبوتهم
وبين الأنبياء الآخرين لأنهم قالوا ببعثة الأنبياء لأن ما حكم به على
المثل يحكم به على المثل الآخر وهذا هو ما ذكره أيضا الشهرستانى
أثناء رده على الصابئة فقال : " أنتم معاشر الصابئة سلمتم بنبوة شيث
وإدريس عليهما السلام فبم عرفتم صدقهما ؟ أبمجرد الدعوى والخبر ؟
أم بدليل ونظر وكل ما قدرتموه دليلا فى حق شخص واحد تثبت به
نبوته أو على الجملة صدقه فى جميع أقواله فهو دليل المخبر الثانى
والثالث وإذا أحلتم الرسالة فى الصورة البشرية فهما بشر مثلكم وأنتم
مخبرون عنهما بشر مثلنا فإن قلتم أنهما كانا حكيمين عالمين لا نبيين

---

[1] – دلائل النبوة د/ عبد الحليم محمود ص ٢٩ – ٣٠ ط دار الإنسان سنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م

[2] – الملل والنحل للشهرستانى ج ٣ ص ٦٩

مرسلين ، قيل وبم وجب عليكم إتباعهم والمحافظة على حدودهما وأحكامهما وانتهاج منهاجهما فى الدعوات والصلوات والصيام والزكوات وقد تساوت أقداحكم فى العقول والأنفس و تشابهت صوركم فى البشرية و الإنسانية " ([١]).

وانتهى من هذه المناقشة فأقول :إن الرسل عليهم السلام بشر مثلنا إلا أنهم يوحى إليهم وهذا هو ما أكده القرآن : " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ "

يقول الأستاذ / أحمد حسين : فلم يكتف بقواه أنه بشر بل وأضاف مثلكم وأصبح الفارق بينه وبين أى إنسان بقوله يوحى إلى فدل ذلك على أن سيدنا محمد وسائر الأنبياء والرسل قد انفردوا عن البشر بقوله يوحى إلى فلم يعد لإنسان أيا كان أن يزعم لنفسه أنه لا ينسى ... ثم قال و قد كان النبى صلى الله عليه وسلم بشر ويشعر من حوله بأنه بشر و بشرينه هى السر فى جعله أعظم عظماء بنى البشر وجعلت عظمته فى صعود وعلو أبد الآبدين فكان يستشير أصحابه ويعدل عن رأيه إلى آرائهم ([٢])

ويقول الدكتور شلبى عن بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم : إنها بشرية اصطفاء الله له واختياره واختصاصه بوحى الله والعصمة والكمال البشرى الذى لا مثيل له ، ونبينا له خبرة بحدود النفس البشرية ولديه إدراك كامل بأقطارها ولكنه ليس من مستواها كما أنه ليس ملكا ، فإذا شرع كان أعلم مشرع ، وإذا حكم كان أعدل حاكم .

---

[١]- نهاية الإقدام – الشهرستانى ص ٤٢٥

٢ – مجلة الأزهر الشريف عدد شوال سنة ١٣٩٩ هـ مقال بعنوان – بشرية رسول الله صلى الله عليه وسلم هى التى جعلته أعظم العظماء الأستاذ / أحمد حسين ج ٨ ص ١٨٢٦ م بتصرف

وإذا ما قضى كان الأحوط علما بالأمور وعواقبها وإذا استشير أوأشار فنعم المشورة وعظمت الشورى عن دراية علم وكشف ، وهو ليس ملكا بعيدا عن البشرية فيحمل الناس على طبعه وخصائصه ، وليس ببشرى عادى يغامس الحياة كما يغامسها الناس فتتحكم فيه النفس وتتغلب عليه العصبية وتجبره مواريث المجتمع على نوع خاص من السلوك ، ولكنه بشر يوحى إلية فهو سوى معصوم (١)

فالرسول بشر ولكنه ليس ككل البشر لأنه أزكى نفسا وأصفى روحا وأطهر قلبا وأنقى معدنا

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ** وأنه خير خلق الله كلهم (٢)**

ولكن من طبيعة أعداء الدعوة الوقوف بالمرصاد لمن يأتى بالدعوة الهادفة سواء كان بشرا أو على صورة بشر ، فهم لم يرضوا للنبوة بشر و لكنهم ارتضوا للألوهية حجرا كما قال الدكتور/ العدوى : ما أعجب شأن أهل الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر ورضوا للألوهية بحجر (٣)

الحكمة فى كون الرسل بشرا :

شاءت الحكمة الإلهية أن يكون الرسل الذين يرسلهم إلى البشر من البشر أنفسهم ، ذلك لأنه تعالى قد أودع فيمن اصطفاهم لتبليغ وحيه إلى عبادة من المسوغات والتكاليف مما يجعلهم أهلا لهذه الرسالة وذلك

---

١ - بشائر النبوة الخاتمة د/ رؤف شلبى ص ٢٢٣ - ٢٢٤ بتصرف اصدار مجمع البحوث الإسلامية العدد ٦٩ رمضان ١٣٩٣ هـ

٢ - البردة للإمام البوصيرى صـ ١٣ مكتبة الجمهورية العربية بمصر .

٣ - دعوة الرسل ـ محمد أحمد العدوى صـ ٦ ط مصطفى الحلبى سنة ١٩٣٥م

لأن الإنسان من بين المخلوقات هو المخلوق الوحيد المؤهل لتحمل الأمانة العظمى ، أمانة الله تعالى .

فالناظر فى دعوة الأنبياء والمتأمل فى موقف أعداء الرسل فى إنكار دعوتهم بحجة أنهم من سلالة البشر يجد أن هؤلاء المعاندين الذين استبعدوا اختيار الله لبعض البشر لتحمل الأمانة ــ الرسالة ــ ومهمة الإصلاح لم يقدروا الإنسان حق قدره ، فالإنسان هو ذلك المخلوق الذى كرمه الله وفضله على كثير من خلقه تفضيلا كما قال فى قرآنه : " ولقد كرمنا بنى آدم وحملناه فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " (١)

فهؤلاء المنكرون لرسالة البشر نظروا إلى المظهر الخارجى للإنسان على أنه يأكل ويشرب وينام ويمشى فى الأرض لتلبية حاجته فقط ، فهم لم ينظروا إلى جوهر الإنسان وحقيقته التى أكدها الله فى قوله " فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين " (٢)

يقول الأستاذ /سيد قطب مبينا الحكمة فى كون الرسل من البشر: إنه الاعتراض المكرر الذى رددته البشرية عن كل رسول ، كيف يكون رسولا يوحى إليه ؟ كيف يمكن أن يتصل بعالم آخر غير عالم الأرض يتلقى عنه ؟

لقد نفخ الله بروحه فى هذا الإنسان ، الذى جعل من صفوة جنسه " الرسل والأنبياء " وبهذه النفخة الإلهية تميز إنسانا واستخلف فى الأرض وما كان ليدعه فى هذه الخلافة دون عون منه و دون هدى ينير له الطريق وقد أودعه الله الاستعداد للاتصال به عن طريق تلك

---

١ - سورة الإسراء الاية ٧٠
٢ - سورة الحجر الاية ٢٩

النفخة العلوية التى ميزته ، فلا عجب فى أن يختار الله واحدا من هذا الجنس صاحب استعداد روحى للتلقى فيوحى إليه ما يهدى به إخوانه إلى الطريق المستقيم ، وما يقدم إليهم العون كلما كانوا فى حاجة إلى العون .

إنه التكريم الإلهي للإنسان فى أن يكون أهلا لحمل رسالات الله إلى الناس ولكن الذين لا يدركون قيمة هذا المخلوق ، ولا حقيقة هذا التكريم الذى أراده الله تعالى له ينكرون أن يتصل بشر بالله عن طريق الوحى وينكرون أن يكون واحد من هؤلاء البشر رسولا من عند الله(١)

فالمتأمل فى كون الرسل من البشر يرى أنه من رحمة الله عز وجل بالناس أن اختار من بينهم الأنبياء والرسل حتى يسهل عليهم بعد ذلك مخاطبتهم والفهم عنهم

ولذلك يقول صاحب الظلال : إن الحكمة الإلهية كذلك تبدو فى رسالة واحد من البشر ، واحد يحس إحساسهم و يتذوق مواجيدهم ويعيش تجاربهم ويدرك آلامهم وآمالهم ويعرف نوازعهم وأشواقهم وهو يفهم ويقدر بواعثهم واستجابتهم لأنه فى النهاية واحد منهم ، وهو يرتاد بهم الطريق إلى الله بوحى من الله وعون منه ، وهم من جانبهم يجدون فيه القدوة الممكنة للتقليد لأنه بشر مثلهم يعيش فيهم بالأخلاق و الأعمال والتكاليف التى يبلغهم أن الله فرضها الله عليهم فيكون هو بشخصه ترجمة عملية للعقيدة التى يحملها إليهم وتكون حياته و أعماله صفحة معروضة أمامهم فتهفو نفوسهم إلى التقليد -لأنها ممثلة فى إنسان ولو كان ملكا ما استطاعوا أن يقلدوه ، فهى حكمة الله الذى خلق

---

١ - فى ظلال القرآن - سيد قطب جـ ٥ ص ٢٥٥٢ ط دار الشروق - بيروت

كل شئ فقدره تقديرا وهى حكمته البالغة أن جعل الرسول بشرا ليؤدى دوره فى قيادة البشر. ([1])

وهكذا تكون حكمة الله البالغة ، فهى لا تمنع أن يكون الرسول بشرا بل وتحتمه حتى يستطيع أن يتصل بالناس بواسطة هذه البشرية بالوحى بواسطة الاصطفاء والنقاء الذى جعله الله فيه ، فالمجانسة بين الداعى والمدعو تتحقق بالألفة والمودة بينهما وتوجد نوعا من النجاح للدعوة ولذا أرسل الله للبشر رسلا منهم ([2])

إذا فكون الرسول من بين قومه ومن جنسهم أدعى إلى الاتباع لأن كل جنس يأنس جنسه وينفر من غير جنسه ومنهج الدعوة يحتاج إلى قدوة عملية فى صورة حية وتحتاج إلى من يشعر بأحاسيس قومه ويدرس مشاكلهم ويجيب على تساؤلاتهم ويشاركهم فى كل مناسبة وهذا لا يتوفر إذا كان الرسول من الملائكة لاختلافهم عن جنس البشر فى الخلقة والتكوين والطبيعة ولذلك كان الرسل رجالا من البشر وهذا ما أكده القرآن لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم حتى يطمئن قلبه قال تعالى : " وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " ([3]) ولهذا قال الأستاذ / سيد قطب :لقد كان الرسل من البشر ليعيشوا حياة البشر ، فتكون حياتهم الواقعية مصداقا لشريعتهم وسلوكهم العملى نموذجا حيا لما يدعون الناس إليه ، فالكلمة الحية هى التى تؤثر و تهدى لأن الناس يرونها ممثلة فى شخص ترجمها إلى عمل ، أما لو كان الرسل من غير البشر لا يأكلون ولا يمشون فى الأسواق ولا يعاشرون النساء ولا يحسون دوافع البشر الذين

---

١ - نفس المرجع جـ ٥ ص ٢٥٥٣س

٢- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها د/ أحمد غلوش ط دار الأنصار

٣- سورة الأنبياء الآية ٧

يشاركونهم ولا يتأسى بهم البشر و لا يقتدون وأيما داعية لا يحس مشاعر الذين يدعوهم فإنه يقف على هامش حياتهم ولا يتجاوبون معه، فالكلمة التى يصاحبها الاتصال ويؤيدها العمل هى الكلمة المثمرة التى تحرك الآخرين ([1])

أما بالنسبة لمن اقترح أن يكون الرسول من الملائكة ، فإن الملائكة لا يحبون حياة البشر بحكم تكوينهم ،ولا يمكن أن يحسوا بدوافع الجسد ومقتضياته ولا بمشاعر هذا المخلوق ، مع أن الرسول يجب أن يحس بهذه الدوافع والمشاعر ليرسم خط الحياة العملى لمتتبعيه من الناس وهناك اعتبار آخر ، وهو أن شعور الناس بأن الرسول ملك لا يثير فى نفوسهم الرغبة فى تقليده فى جزئيات حياته لأنه من جنس غير طبيعتهم ولا ننسى أن حياة الرسل أسوة دافعة لغيرهم من الناس ،وهذا وذاك فوق ما فى الاقتراح من غفلة عن تكريم الله للجنس البشرى كله باختيار الرسل منه ليتصلوا بالملأ الأعلى ويتلقوا عنه ، لذلك اقتضت سنة الله الجارية اختيار الرسل من البشر وأجرت عليهم ما يجرى على البشر وجعلت أفضل الرسل وأكملهم هو خاتمهم وهو صاحب الرسالة الباقية ([2])

ومن هنا نقول مع الإمام القرطبى : لو كان الرسول إلى البشر ملكا لنفروا منه ومن مقاربته ولما أنسوا به ولداخلهم الرعب من كلامه فلا تعم المصلحة ([3])

---

[1]- فى ظلال القرآن – سيد قطب ج ٤ ص ٢٣٦٨

[2]- نفس المرجع ج٤ ص٢٣٦٨-٢٣٦٩ بتصرف بسيط

[3]- تفسير القرطبى ج٤ ص ٢٣٩١

فلا يجوز أن تكون أمة الدعوة من البشر ونبيهم من الملائكة فإنه فضلا عن أنه لا يشعر بهم ولا يتجاوب فى المشاعر والاحساسات معهم ، وفضلا عن أنه لا يصلح أن يكون نموذجا لهم ومثالا ، فلا يمكن للبشر أن يأخذوا منه وهو على صورته وليس هناك من مخرج والحالة إلا أن يأتيهم الملك فى صورة رجل ويكون الإشكال هو الإشكال واللبس هو عين اللبس ([1])

ويوضح الإمام الرازى جانبا من الحكمة فى إرسال الرسل من البشر فيقول : والحكمة فيه عدة أمور :-

١- أن الجنس إلى الجنس أميل .

٢- أن البشر لا تطيق رؤية الملك .

٣-أن طاعات الملائكة قوية فيستحقرون طاعة البشر وربما لا يعذرونهم فى الإقدام على المعاصى .

٤- أن النبوة فضل من الله يختص بها من يشاء من عباده سواء كان ملكا أو بشرا ([2])

ومن هنا نستطيع أن نقول ، إن الحكمة الإلهية فى بعث الرسل من البشر، أنه لو كان الرسل من الملائكة لما استطاع الناس أن يأخذوا عنهم أو يجتمعوا بهم ولكان للناس حجة فى عدم اتباع الرسل وهو أن يقولوا : هؤلاء الذين بعثهم الله إلينا وأمرنا باتباعهم ليسوا من جنسنا .

ونقول : إن رسول البشر لا يكون إلا بشرا ،ولما ثبت ذلك فلا بد أن تجرى عليهم كل الأعراض البشرية من طعام وشراب ومشى فى

---

[1]- النبوة والتنبؤ د/ طه حبيش ص٣٥

[2]- مفاتيح الغيب م٦ ج١٢ ص١٦٢

الأسواق للبيع والشراء وقضاء الحاجات ، وكذلك يصيبهم الموت فى نهاية المطاف وهو سنة من سنن الله فى الكون .

الشبهة الثانية :

"وهى متمثلة فى قولهم أن الرسول شاعر و ما أتى به فهو شعر"

إن أعداء الإسلام كما قلنا: كلما فشل أسلوب ودحضت شبهة ، استحدثوا شبهة أخرى وأسلوبا جديدا لعله يتحقق لهم الهدف فى صرف الناس عن اتباع الرسول .

إن أعداء الإسلام يتهمون الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الشبهة بأنه شاعر وأن ما أتى به من الشعر فهو من تلقاء نفسه ، ولكن الله تعالى رد عليهم ردا جميلا فى إحدى سور القرآن المكية قال تعالى:"وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين" (١)

واستدلوا فى قولهم هذا ببعض الآيات القرآنية ،موزونة مقفاة و بالتالى تكون على حد زعمهم شعرا.

من بين تلك الآيات قول الله تعالى " ويخزيهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين " (٢) قالوا إن هذه الاية تمثل بحر الوافر، وقوله تعالى : " والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم " (٣) وهذه الآية من بحر الكامل ، وقوله تعالى : " وجفان كالجواب وقدور راسيات " (٤) وهذه الآية من بحر الرمل (١) وغير هذا من الآيات التى ادعى المشككون أنها على وزن الشعر.

---

[١]- سورة يس الآية ٦٩
[٢]- سورة التوبة الآية ١٤
[٣]- سورة البقرة الآية ٢١٣
[٤]- سورة سبأ الآية ١٣

فهذه شبهة ابتدعها أعداء الإسلام الذين لا يثبتون على حال واحدة وتلك طبيعة أهل الباطل لأنهم فى شك من أمرهم ويشعرون بالهزيمة أمام الحق وإن كل أساليبهم وتجاربهم تفشل على الدوام ويظهر زيفها للعيان .

يقول الأستاذ / سيد قطب : " ولقد حاولوا كيف يصفون هذا القرآن فقالوا :إنه سحر، وقالوا أنه أحلام يراها محمد صلى الله عليه وسلم ويرويها وقالوا أنه شعر وقالوا غير ذلك ولم يثبتوا على صفة له ولا رأى يرونه فيه لأنهم يحاولون أن يعللوا أثره المزلزل فى نفوسهم بشتى التعليلات فلا يستطيعون فينتقلون من إدعاء إلى إدعاء ومن تعليل إلى تعليل حائرين غير مستقرين (٢)

وهذا هو حال المشركين دائما متحيرون لا يثبتون على رأى واحد يواجهون به الحق لأن ادعاءاتهم كاذبة وإنكارهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتكذيب رسالته باطل لعدم استنادهم إلى دليل معقول ، ولذا كان شغلهم الشاغل حول القرآن الكريم .

فقد انتهوا من قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم إلى كلام مفترى من عند محمد ثم إلى أنه شاعر ، وهكذا الباطل لجج والمبطل متحير رجّاع غير ثابت على قول واحد ، و يجوز أن يكون

١- قضايا النبوات د/ محمود بركات ص١٠٢ ط دار الهدى وراجع كتاب أهدى سبيل إلى علمى الخليل الأستاذ محمود مصطفى ص٤٩،٥٣،٦٩ ط محمد على صبيح ط ٢٥ سنة ١٤٠٥ هـ /١٩٨٥م وكاتب أوزان الشعر د/ السيد محمد ديب ص٣٩،٤٥،٥٠ ط سنة ١٤١٥ هـ ١٩٩٤م

٢- فى ظلال القرآن ج٤ ص٢٣٨٦

تنزيلا من الله لأقوالهم فى درج الفساد وإن كان قولهم الثانى أفسد من الأول والثالث أفسد من الثانى وكذا الرابع أفسد مِن الثالث (١)

ولذلك نحاول إن شاء الله فى الصفحات التالية إظهار فساد هذا القول بالعقل وذلك لأن القرآن الكريم قد أبطل قولهم فى آيات عديدة منها قولة تعالى : " وما علمناه الشعر و ما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين " (٢)

وقوله تعالى:"ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون"(٣)

فرد الله عليهم " بل جاء بالحق وصدق المرسلين " (٤)

والآيات فى هذا الصدد كثيرة لذا نحاول دحض هذه الشبهة بالأدلة الواقعة فى عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) المتواترة وبالعقل معا .

مناقشة هذه الشبهة والرد عليها :

نقول لا شك أن القرآن الكريم له أسلوبه الخاص ونظمه المحدد الذى لا يشاركه فيه غيره ومن هنا نفى القرآن عن نفسه شائبة الشعر فقال " وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين "

ونلحظ فى هذه الآية أنها قد حددت نظم القرآن ،فهو قرآن ، وهو ذكر فى مقابلة الشعر، وقال "وما هو بشاعر " ولذلك نجد نقده

١- راجع الكشاف للإمام الزمخشرى ج٢ ص٢٦٥
٢- سورة يس الآية ٦٩
٣- سورة الصافات الآية ٣٦
٤- سورة الصافات الآية ٣٧

للشعراء فيقول : " والشعراء يتبعهم الغاوون*ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون مالا يفعلون " ([1])

ومن هنا نقول :إن القرآن حرم نوعا معينا من الشعر وليس كل الشعر وهو الشعر الذى يكون فيه دعوة إلى الرذائل أو الذى يكون فيه إيذاء للمسلمين أو إيذاء لأعراض المسلمين أو فيه دعوة إلى الميوعة وإلى التخنث وإلى إضعاف هيبة الشباب ، هذا كله يحرمه الله بدليل أنه قال " ألم ترى أنهم فى كل واد يهيمون" وكان الشعر فى ذلك الوقت غزلا ،أى يتحدث فى وصف النساء والدعوة إلى التخلف والهجاء وإيقاع الفرقة بين القبائل ، وقد وقف القرآن ضد هذا اللون من الشعر ([2])

لكن الآيات القرآنية قد استثنت من عموم الشعراء المذمومين أولئك الشعراء الذين جندوا أنفسهم لنصرة الدين والتزموا الصدق فى القول فقال تعالى : " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون " ونجد فى هذه الآية فروقا هى :-

١- الإيمان وهو قوله : " إلا الذين آمنوا "

٢- أن يكون شعرهم فى التوحيد والنبوة ودعوة الخلق إلى الحق وهو قوله: " وذكروا الله كثيرا "

٣- العمل الصالح وهو قوله : " وعملوا الصالحات "

---

[1]- سورة الشعراء الاية ٢٢٤-٢٢٧

[2]- اللواء الإسلامى – السنة الخامسة العدد٢٤٨ ص٥ الخميس ١٩ من صفر سنة ١٤٠٧ الموافق ٢٣ من أكتوبر سنة ١٩٢٦ يصدرها الحزب الوطنى الديموقراطى مقال د/ عبد الصبور مرزوق

٤- ألا يذكروا هجو أحد إلا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم وهو قوله : " وانتصروا من بعد ما ظلموا "(١)

وقد حدث عند نزول هذه الآية أن حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء ، فتلا النبى صلى الله عليه وسلم " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... " إلى آخر الآية ، فليس الشعر منهيا عنه لأنه شعر ولا لأنه موزون وإنما المنكر فى الشعر ما ينكر فى الكلام من السوء أو ما يغرى به ويستدرج إليه مثل أشعار الخلاعة والمدح والذم ، وما عدا ذلك فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يسمعه ويجيزه بل إن النبى صلى الله عليه وسلم قد حدد مبدأ الالتزام للأديب والشاعر ورسالتهما فى الدفاع عن القضايا بالحق حين قال :" ما يمنع القوم الذين قد نصروا رسول الله بسلاحهم وأنفسهم أن ينصروه بألسنتهم " (٢)

ومن هنا يمكن لنا أن نرد على الذين قالوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه شاعر وأن القرآن شعر ابتدعه من تلقاء نفسه فنقول : إن العرب الذين قد تحداهم القرآن كانوا أعرف الناس بالشعر وكانوا هم الشعراء بحق فلو كان القرآن شعرا لما كان أسهل من معارضته ويكفينا هنا شهادة عالم بأصول الشعر وهو الوليد بن المغيرة و الذى قال لقومه حين ادعوا على القرآن أنه شعر : والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا بزجله ولا بقصيدته ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذين يقولون شيئا من هذا . (٣)

١- سورة الشعراء الآية٢٢٧
٢- الدر المنثور فى التفسير ج٦ ص٣٣٨ ط دار الفكر بيروت ط ١٤٠٣هـ
٣- مفاتيح الغيب - الرازى م١ ج٢ ص١٣٤-١٣٥

ونقول لو كان القرآن شعرا لما آمن به فطاحل الشعراء من أمثال حسان بن ثابت، وكعب ولبيد وهم الأعلمون بأصول الشعر الأعرفون بطبيعته وروحه وبحوره .([1])

وتروى كتب السيرة أن الطفيل بن عمرو الدوسى وكان رجلا شاعرا أديبا قد ذهب إلى مكة فراح صناديد قريش يحذرونه من الكلام مع محمد ويدعون أن قوله كالسحر يفرق به بين المرء وأهله بل بين المرأة ونفسه ، ولكن الطفيل قال فى نفسه: والله إنى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فإن كان حسنا قبلته وإن كان قبيحا تركته ، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقص عليه ما دار بينه وبين المشركين وما حدثته به نفسه ، فتلى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بعض آيات من كتاب الله فإذا به يدخل فى الإسلام حيث أدرك أن ما قاله محمد صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يكون نمطا من أنماط كلام البشر. ([2])

بل إن لبيد بن ربيعة عندما سمع أن محمدا يتحدى الناس بكلامه فقال أبيات وعلقها على باب الكعبة ، ولما رأى أحد المسلمين هذه الآبيات أخذته الغيرة فكتب بعض آيات القرآن وعلقها إلى جوار أبيات لبيد ومر لبيد بباب الكعبة فى اليوم التالى ، ولم يكن قد أسلم بعد، فأذهلته الآيات القرآنية حتى أنه صرح من فوره قائلا : والله ما هو بقول بشر وأنا من المسلمين .([3])

---

[1]- نفس المرجع السابق

[2]- حياة محمد للأستاذ / حسين هيكل ص١٧٢ ط دار المعارف مصر ط٣

[3]- المذاهب المعاصرة د/ عبد الرحمن عميرة ص١٥٥

فلو كان القرآن شعرا هل كان من الممكن أن يؤمن به هؤلاء الشعراء ؟ إن منطق العقل يقول : لا. ولكن هؤلاء أسلموا وبإسلامهم يكونون قد سلموا بان القرآن بعيد كل البعد عن أن يكون شعرا .

ثم نقول : إن هناك فرقا شاسعا بين طبيعة الشعر وأغراضه وبين القرآن الكريم والنبوة . فالشعر إنما يقوم على التخيل وتصوير الباطل فى صورة الحق ، والإفراط و المبالغة فى الذم والمدح . وأما القرآن فهو منبع الحق ومجمع الصدق ولا كذب فيه ولا مبالغة ولا يبعد عن الحقيقة والواقع أبدا .

فالشعر كما يقول الأستاذ / سيد قطب : انفعال أولاً، ثم تعبير عن هذا الانفعال ثانيا: والظاهرة الانفعالية من طبيعتها التغير والتقلب من حال إلى حال .

والنبوة شئ أخر لأنها فى الأساس وحى على منهج ثابت على صراط مستقيم يتبع ناموس الله الثابت الذى يحكم الوجود كله ومن ثم فهو لا يتقلب تقلب الشعر تبعا لتقلب الانفعالات ولذلك نفى الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم ذلك فقال : " وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين " ([1])

هذا من ناحية ، ومن ناحية آخرى ، فإن النبوة : اتصال دائم بالله ، وتلق مباشر عن وحى الله ومحاولة لرد الحياة إلى الله .([2])

فى حين أن الشعر فى أعلى صوره ، أشواق إنسانية إلى الجمال والكمال بقصور الإنسان وتصوراته المحدودة بحدود مداركه واستعداداته ، وحين يهبط الشعر عن صورته العليا فهو: انفعالات

[1]– فى ظلال القرآن – أ/ سيد قطب ج٥ ص٢٩٧٥
[2]– نفس المرجع السابق

ونزوات قد تهبط حتى تكون صراخ جسد و فورة دم ولحم ، فطبيعة كل من النبوة والشعر مختلفة عن الآخرى من الأساس ،فطبيعة الشعر فى أعلى صورها أشواق تصعد من الارض ، والنبوة فى صميمها هداية تتنزل من السماء .([1])

يقول الباقلانى :إن طريقة الشعر شريعة مورودة ومنزلة مشهورة يأخذ منها أصحابها إلى مقادير أسبابهم ويتبادل منها وزنها على حسب أحوالهم وأنت تجد للمتقدم معنى طمسه المتأخر ، وتجد للمتأخر معنى قد أغفله المتقدم ، وتجد معنى قد توافقا عليه كأنهما فيه رضيعان للبن واحد ، فأما منهج القرآن ونظمه وتأليفه ووصفه بأن العقول تتيه فى جهته وتحار فى بحره وتضل دون وصف .([2])

ومن هنا ندرك تماما أن للشعر مفهوما علميا محددا لا يمكن أن ينطبق على القرآن الكريم فقد عرفوه بأنه : الكلام الموزون المقفى المقصود لذاته .

وعلى هذا فما يرد على ألسنة الناس عفوا من كلام موزون أو مقفى يعد شعرا لأنه غير مقصود إليه وإلا فسوف يكون الناس كلهم شعراء فنحن نسمع من قوله : أغلق الباب وائتنى بالطعام ، فهذا الكلام من بحر الخفيف وعلى وزن (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن).

ومن هنا قال العلماء إن البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعرا وأقل الشعر بيتان .

---

[1]- نفس المرجع السابق وراجع قضايا النبوات د/ محمود بركات ص١٠٤-١٠٥
[2]-إعجاز القرآن – الباقلانى –ص١٨٣ ط دار المعارف

يقول ابن سينا الخفاجى : أقل ما يقع عليه الشعر بيتان لأن التقفية لا تكون فى أقل منهما ولاتسير فى البيت الواحد لأنها مأخوذة من قفوت الشئ إذا تلوته .

وأما الزجر فإنه يعرض فى كلام العوام كثيرا ، وقيل إذا قل ما يكون فيه شعرا أربعة أبيات ، بعد أن تتفق قوافيها ولم يقع ذلك فى القرآن أبدا.([١])

[١]- المعجزة والإعجاز د/ سعد الدين صالح ص١١٨-١١٩ نقلا من كتاب سر الفصاحة للخفاجى ص٢٣٨ وراجع إعجاز القرآن للباقلانى ص٥٣، ٥٥

أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢-إشارات المرام-للبياض تعليق أ/يوسف عبد الرازق. ط مصطفى الحلبى

٣-أصول الدين للبغدادى ط دار الكتب العلمية . بيروت

٤-اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للإمام الرازى ط مكتبة الكليات الأزهرية

٥-إعجاز القرآن للإمام الباقلانى ط دار المعارف ط ١٩٦٣م

٦-أعلام النبوة للماوردى ط دار الكتب العامة بيروت ط ١٤٠٦ هـ

٧-إلجام العوام للإمام الغزالى

٨-أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى ط الحلبى ط ١٣٣٩ هـ

٩-أهد نبيل إلى علم الخليل أ / محمود مصطفى ط صبيح ١٤٠٥هـ

١٠-أوزان الشعر د / السيد محمد ديب ط ١٤١٥هـ

١١-الإرشاد للإمام الجوينى ط مؤسسة الكتب الثقافية

١٢-الأربعين فى أصول الدين للإمام الرازى ط مكتبة الكليات الأزهرية

١٣-الإسلام يتحدى أ/وحيد الدين خان ط مكتبة القرآن ط ٦ ١٩٧٦ م

١٤-الإرشادات والتنبيهات لابن سينا ط دار المعارف

١٥-الاقتصاد فى الاعتقاد للإمام الغزالى ط مكتبة الحسين دار الكتب العلمية . بيروت

١٦-الانتصار للخياط دار الكتب المصرية ١٩٢٥ م

١٧-التعريفات للجرجانى ط دار الكتب العلمية - بيروت

١٨-التصوير الفنى للقرآن الكريم أ / سيد قطب ط دار الشروق

١٩- الرسول صلى الله عليه وسلم أ/سعيد حوى ط مكتبة وهبة ط٤ ١٣٨٧ هـ

٢٠-السيرة النبوية لابن هشام ط دارالتوفيقية - القاهرة

٢١-العقائد الإسلامية أ / سيد سابق ط دار الكتب الحديثة القاهرة ط ١ ١٣٨٧ هـ .

٢٢-الفلسفة الإسلامية أ/ عبد المعطى بيومى ط دار الكتب المحمدية.

٢٣-القرآن الكريم هدايته وإعجازه أ/ محمد صادق العرجون ط دار الثقافة ط ١ ١٩٧٥م .

٢٤-القاموس المحيط للفيروز آبادى ط مؤسسة الرسالة ط ١٩٨٦م

٢٥-القرآن ينبوع العلوم والمعارف أ / على فكرى ط الحلبى

٢٦-القرآن والتوراة والإنجيل/موريس موكاى ط دار المعارف القاهرة

٢٧- القرآن وقضايا الإنسان / عائشة عبد الرحمن ط دار العلم للملايين-بيروت

٢٨-الكشاف للزمخشرى ط دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت

٢٩-الكون والإعجاز العلمى للقرآن د /منصور محمد حسب النبى ط دار الفكر العربى .

٣٠-الميزان فى تفسير القرآن أ /السيد الطباطبانى ط مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت

٣١-المعجزة والإعجاز أ.د/سعد الدين صالح ط دار الطباعة المحمدية

٣٢-المعجزة الكبرى للقرآن للشيخ أبو زهرة ط - دار الفكر العربى

٣٤-النبوات والسمعيات د/محى الدين الصافى مطبعة الانوار المحمدية

٣٥-النبوة والأنبياء للشيخ أبو الحسن الندوى ط دار القلم ط٤ ١٣٣٤هـ

٣٦-النبأ العظيم أ .د /محمد عبدا الله دراز ط دار القلم بيروت

٣٧-النبى محمد صلى الله عليه وسلم أ/عبد الكريم الخطيب ط دار الفكر

٣٨-النبوة والتنبؤ أ . د /طه حبيش ط مطبعة الفجر الجديدة

٣٩-الوحى المحمدى أ/رشيد رضا مكتبة النهضة المصرية ط٦ ١٣٧٥هـ

٤٠-بشائر النبوة الخاتمة د/رؤوف شلبى ط مجمع البحوث الإسلامية

٤١-بصائر ذوى التميز - للفيروز آبادى ط المكتبة العلمية بيروت

٤٢-جماليات المضمون والشكل فى الإعجاز القرآنى د /مصطفى الصاوى ط مطبعة أطلس بالإسكندرية

٤٣-حلية الأولياء للأصفهانى ط دار الكتب العلمية

٤٤-حياة محمد أ /حسين هيكل ط دار المعارف ط ٣

٤٥-خلق القرآن بين المعتزلة وأهل السنة للإمام الرازى ط المكتب الثقافى للنشر ـ القاهرة

٤٦-دعوة الرسل د/محمد احمد العدوى ط مصطفى الحلبى ط ١٩٣٥م

٤٧-دلائل النبوة للبيهقى ط المكتبة السلفية ط ١ ١٣٨٩ه

٤٨-دلائل النبوة د /عبد الحليم محمود ط دار الإنسان ١٣٩٤ه

٤٩- شرح الباجورى ط مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٥٠-شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ط مكتبة وهبة

٥١-شرح المقاصد - للتفتازانى ط مكتبة الكليات الازهرية

٥٢-صحيح البخاري ط المكتبة السلفية ط ٣ ١٤٠٧هـ

٥٣-صحيح مسلم ط دار الكتب العلمية بيروت ط٦ ١٩٨٧ م

٥٤-صحيح الترمذى ط دار الكتب العلمية بيروت

٥٥-فى ظلال القرآن أ/سيد قطب ط دار الشروق بيروت ط١ ١٩٨٥م

٥٦-قضايا عقيدية د /محمد الانور بدون ذكر المطبعة

٥٧-قضايا النبوات د / محمود عبد المعطى بركات ط دار الهدى

٥٨-لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف

٥٩-محمد المثل الكامل أ/احمد جاد المولى ط مكتبة دار المحبة بيروت

٦٠-محمد صلى الله عليه وسلم أ/رشيد رضا ط دار الكتب العلمية بيروت

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع
٢٠٠٢ / ١١٠٩٨